

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى - كلية اللغة العربية

قسم الدراسات العليا - فرع الأدب



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٦٣٤٠

عبد الجليل بن وهب الشاعر وشعره

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي

إعداد الطالب
سعيد أحمد محمد الخامدي

إشراف

الأستاذ الدكتور / حسن عبد الكريم الوراكلي

الحام الجامعي

١٤١٩ - ١٤٢٠ هـ

المقدمة :

شهد القرن الخامس الهجري في الأندلس أحداثاً جسيمة وفتنا نجم عنها سقوط الخلافة (٤٢٢هـ) فتحولت الأندلس إلى مجموعات من الدول والإمارات المتناحرة حتى وسم هذا العصر بـ(عصر ملوك الطوائف). وعلى الرغم من هذا الضعف والتفكك الذي أصاب الأندلس من الناحية السياسية إلا أنها عرفت عصرئذ ازدهاراً في الحركة العلمية والأدبية ، وفي إشبيلية حيث قامت مملكة بني عباد ازدهرت حركة الأدب والشعر في هذا القرن وعجت إشبيلية بطائفة من الشعراء البارزين إلا أننا رأينا نفرأ قليلاً منهم حظوا بأكبر قدر من الدراسة ، وأوفر نصيب من البحث بينما ظل آخرون في حاجة إلى تسليط الأضواء عليهم لإلقاء مزيد من الضوء على الحركة الأدبية في تلك الفترة .

وقد دفعني ذلك إلى دراسة أحد شعرائها ، فوقع اختياري على عبد الجليل ابن وهبون ، لكون الشاعر لمّا يفرد بدراسة وأن شعره لمّا يجمع حديثاً فيما أعلم رغم أنه من شعراء الطبقة الأولى في الأندلس إبان عصرملوك الطوائف حتى قال عنه ابن بسام : " شمس الزمان وبدره ، وسر الإحسان وجهه ، ومستودع البيان ومستقره ، آخر من أفرغ في وقتنا من فنون المقال في قوالب السحر الحلال ، وقيد شوارد الألباب ، بأرق من ملح العتاب ، وأروق من غفلات الشباب " وممّا يدل على شدة إعجاب ابن بسام به أنه أفرد له كتاباً جمع فيه أشعاره وتحدث فيه عن أخباره ، ووسمه بـ (كتاب الإكليل المشتمل على شعر عبد الجليل) إلا أنّ هذا الكتاب مع الأسف قد ضاع في جملة ما ضاع من تراث العرب في الأندلس .

ومن أبرز المصادر التي تعرضت لأخبار ابن وهبون وشعره (الذخيرة لابن

بسام) وهو يمثل أهم مصادر شعر ابن وهبون ، و (كتاب قلائد العقيان لابن خاقان) وفيه قصائد لم ترد في الذخيرة ، و (كتاب الخريدة للعماد الأصفهاني) .

أمّا الدراسات الحديثة : فقد تعرض للحديث عن ابن وهبون ، الدكتور أحمد ضيف في كتابه (بلاغة العرب في الأندلس) والدكتور محمد مجيد السعيد ، في كتابه (الشعر في ظل بني عباد) والدكتور صلاح خالص في بحثه عن ابن وهبون الذي نشره في مجلة كلية الآداب بغداد ، العدد (١٢) ، ١٩٦٩ م .

أمّا المصادر التي استقيت منها أخبار " ابن وهبون " وجمعت منها شعره فقد كانت متنوعة ، وقد سعت إلى أن تكون هذه المحاولة لجمع شعره وإخراجه مشتملة على جميع ما يمكن التوصل إليه من شعر .

أمّا منهجي في هذه الدراسة فقد كان يقوم على الربط بين المناهج التالية: التاريخي ، والوصفي ، والتحليلي ، والاستفادة منها جميعاً .

وقد تكونت الدراسة من قسمين :

القسم الأول : درست فيه (حياته وشعره) ويقع في بابين :

الباب الأول : وكان دراسة تاريخية درست فيها ما يتعلق بالشاعر وجاء في فصلين :

الفصل الأول : درست فيه عصر ابن وهبون ومدى انعكاسه على شعره .

الفصل الثاني : وأخلصته لاستجلاء كل ما يتصل بحياته من خلال الأخبار التي استطعت الوصول إليها مع الاعتماد على شعره في رسم ملامح شخصيته .

أما الباب الثاني : فقد أدرته على دراسة شعره دراسة فنية، وقد جعلته في فصلين :

الفصل الأول : تناولت فيه موضوعاته الشعرية .

الفصل الثاني : أقمته على دراسة الخصائص الفنية لشعره من خلال دراسة أسلوبه، ثم الصورة الفنية في شعره ، ثم الموسيقى.

أما القسم الثاني : فاشتمل على (مجموع شعره).

وتضمن توطئة عن مصادر المجموع، وقيمتها في التوثيق والتحقيق ثم شرحاً للمنهج المتبع في جمع شعره وتحقيقه .

ثم ختمت هذا العمل بتلخيص لأهم النتائج التي توصل إليها البحث في خاتمة موجزة ، وذيلت عملي هذا بثبت بأهم المصادر والمراجع التي استعنت بها في إنجازه ، ثم بفهرس للقوافي، وآخر للموضوعات .

هذا ولم أدخر في سبيل هذا العمل جهداً أو وقتاً ، فإن كنت قد أدركت شيئاً مما استهدفته فذلك ما طمحت إليه وابتغيته وإلا فعذري أنني أخلصت في العمل وبذلت كل الجهد . مستمداً من الله تعالى العون والقوة ، فعليه أتوكل وإليه أنيب ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سعيد أحمد محمد الغامدي

مكة المكرمة

في ٢٢ / ٢ / ١٤١٩ هـ

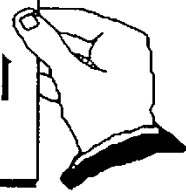
الموافق ١٦ / ٦ / ١٩٩٨ م

القسم الأول

الدراسة



الباب الأول



في عصر ابن وهب وحياته

الفصل الأول :
في عصره

الفصل الثاني :
في حياته



أولاً : البيئة السياسية :

لم يكد القرن الخامس يطل على الأندلس حتى بدأت نذر الفتنة تعصف بالبلاد التي كانت تنعم بقدر وافر من الهدوء والاستقرار والتقدم والرخاء في ظل عبد الرحمن الثالث (الناصر) الذي دام خمسين عاماً ومن بعده ابنه الحكم لمدة ستة عشر عاماً ومن بعدهما الحاجب المنصور بن أبي عامر ، ثم عصفت بالبلاد تلك الفتنة المبيدة كما وصفها أبو مروان بن حيان المؤرخ الأندلسي المشهور ، والمعاصر للفتنة بقوله :

« هذه الفتنة البربرية الشنعاء المدلهمة المفرقة للجماعة الهادمة للملكة المؤتلة ، المغربية الشأو على جميع ما مضى » . (١)

وكانت النتيجة التي تمخضت عنها الفتنة حالة من التمزق منيت بها الأندلس ، فقد عمت الفوضى وانقسمت البلاد إلى دويلات صغيرة ، واستقل كل أمير وانفصل عن مركز الخلافة في قرطبة فيما عرف في التاريخ الأندلسي بدول الطوائف (٢)

(١) الذخيرة ق ١، م ٢، ص ٥٧٦.

(٢) للوقوف على مزيد من التفصيل في فترة الفتنة ينظر المصادر الآتية :

الذخيرة لابن بسام، ق ١، م ٢، ص ٥٧٦ وما بعدها.

والبيان المغرب لابن عذاري المراكشي، ج ٣، ص ٥٠-١٥٠.

والمعجب لعبد الواحد المراكشي، ص ٨٦-١١٠.

ونفح الطيب للمقرئ، ج ١، ص ٤٨٢ وما بعدها. ومراجع حديثة كثيرة من أبرزها :

دول الطوائف لمحمد عبد الله عنان ، ص ١١-٢٨٥.

التاريخ الأندلسي لعبد الرحمن الحجي ، ص ٣٢٣.

قيام دول الطوائف :

لم تكد الخلافة الأموية تبلغ نهايتها وينفرط عقدها حتى استحالت إلى دول كثيرة صغيرة يحكمها ملوك عرفوا في تاريخ الأندلس بملوك الطوائف فنشأت في عهدهم حالة من الفوضى والصراع المرير على السلطة والتفرق .

ويصور لنا المراكشي في المعجب تلك الحالة بقولة : « أما حال سائر أهل الأندلس بعد اختلال دعوة بني أمية فإن أهلها قد تفرقوا فرقاً ، وتغلب في كل جهة منها متغلب ، وضبط كل متغلب منهم ما تغلب عليه ، وتقسموا ألقاب الخلافة ، فمنهم من تسمى بالمعتضد ، والمعتمد ، والموفق ، والمتوكل ، إلى غير ذلك من الألقاب الخلفية ، وفي ذلك يقول أبو علي الحسن بن رشيق :

مما يزهدني في أرض أندلس
سماع مقتدر فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها
كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد» (١)

ولقد كثر عدد هذه الدول حتى أوردت المصادر أسماء ما يزيد على عشرين دولة منها في قرطبة بنو جهور ، وفي غرناطة بنو زيري الصنهاجيون ، وفي سرقسطة بنو هود ، وفي بطليموس بنو الأفطس ، وبنو عباد في إشبيلية ، وغيرهم من الأسر التي استقلت فيما تحت نفوذها من البلاد (٢) وسنقصر حديثنا على دولة بني عباد في إشبيلية فهي الدولة التي عاش في كنفها عبد الجليل بن وهبون .

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي ، ص ١٢٣ .

(٢) للمزيد حول هذه الدول . انظر : دول الطوائف ، لمحمد عبد الله عنان ، والتاريخ الأندلسي ،

لعبد الرحمن الحجي ، ص ٣٧٦-٤٠٩ .

مملكة بني عباد في إشبيلية :

تأتي مملكة إشبيلية في مقدمة دول الطوائف من حيث سعتها وتفوقها السياسي وكان لها شأن في أحداث هذه الفترة لا سيما في غرب الأندلس ، كما كان لها شأن كبير في النشاط العلمي .

بنو عباد نسبهم وأصلهم :

ظهر نجم هذه الأسرة عقب ذهاب الخلافة على يد كبيرها القاضي أبي الوليد اسماعيل بن محمد بن عباد اللخمي ، « قال أبو رافع الفضل بن علي الفارسي في كتابه الموسوم بـ (الهادي إلى معرفة النسب العبادي) : القاضي بن عباد هو أبو القاسم محمد بن ذي الوزارتين أبي الوليد اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن قریش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم ، وعطاف هو الداخل منهم بالأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري ، وكان عطاف من أهل حمص من صقع الشام لخمياً النسب صريحاً ، وموضعه من حمص العريش ، والعريش في آخر الجفار بين مصر والشام ؛ ونزل بالأندلس بقرية يُمَيْن من إقليم طشانة من أرض إشبيلية » ،^(١) ويعتبر القاضي اسماعيل بن عباد مؤسساً لملك بني عباد ، وقد استمر في الحكم حتى سنة ٤٣٣هـ حيث قتل في معركة دارت بينه وبين صاحب قرمونة ،^(٢) ثم جاء بعده ابنه عباد الملقب بالمعتضد بالله وصفه ابن بسام بأنه « قطب رحي الفتنة ، ومنتهى غاية المحنة »^(٣) .

وفي عام ٤٦١هـ انطفأت شعلة المعتضد وتولى بعده تدبير أمور المملكة ابنه محمد (المعتمد) بن عباد^(٤) .

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ١٤ .

(٢) المعجب ، للمراكشي ، ص ١١٣-١١٤ .

(٣) الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٢٤ .

(٤) الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٥٢ .

المعتمد بن عباد :

وهو اللقب الذي غلب عليه واشتهر به طول حياته . ولد بمدينة باجة سنة ٤٣١ هـ وقيل سنة ٤٣٢ هـ وكان المعتمد من الملوك الفضلاء والشجعان العقلاء ، والأجواد الأسخياء المأمونين عفيف السيف والذيل . . . إلا أنه كان مولعاً بالخمير ، منغمساً في اللذات ^(١) .

وعرف بتعلقه بالأدب ، والشعر ، وقد كان لا يستوز وزيراً إلا إذا كان ممن يجيدون الكلام ويتذوقون الأدب .

كان أندى ملوك الأندلس راحة ، وأرحبهم ساحة ، وأعظمهم ثماداً ، وأرفعهم عماداً ، ولذلك كانت حضرته ملقى الرجال ، وموسم الشعراء ، وقبله الأمال ، ومألف الفضلاء حتى إنه لم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره من أعيان الشعراء ، وأفاضل الأدباء ما كان يجتمع ببابه ، وتشتمل عليه حاشيتا جنابه ^(٢) . وقد تمكن من ضم قرطبة إلى ملكه وعين ابنه المأمون حاكماً عليها فأقام فيها حتى سقوطها بيد المرابطين ^(٣) واستطاع المعتمد أن يؤسس أعظم مملكة للطوائف غير أن الخطأ القاتل الذي وقع فيه المعتمد بن عباد هو مصانعته للأذفونش ومحالفته واستعداؤه على أمراء الطوائف واستخذاؤه للأذفونش بدفع الجزية في سبيل الحفاظ على ملكه . وفي عام (٤٧٨) استطاع الأذفونش احتلال طليطلة .

وكان سقوطها ناقوس خطر ونذير نكبة أيقظت ملوك الطوائف وأدركوا هول الخطر الماحق ، فتطلعوا إلى الاستنجاد بابن تاشفين ملك المرابطين .

(١) الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

(٢) وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٢٤ ، ط إحسان عباس .

(٣) دول الطوائف ، محمد عبد الله عنان ، ص ٦١ .

« ولما كانت سنة (٤٧٩هـ) جاز المعتمد على الله البحر قاصداً مدينة مراكش إلى يوسف بن تاشفين ، مستنصراً به على الروم ، فلقية يوسف المذكور أحسن لقاء ، وأنزله أكرم نزل ، وسأله عن حاجته ، فذكر أنه يريد غزو الروم ، وأنه يريد إمداد أمير المسلمين إياه بخيل ورجل ليستعين بهم في حربه ، فأسرع أمير المسلمين المذكور إجابته إلى ما دعاه إليه ، وقال له : أنا أول منتدب لنصرة هذا الدين ، ولا يتولى هذا الأمر أحد إلا أنا بنفسى . . . » (١) .

فعبر ابن تاشفين إلى الأندلس بجيش عظيم ولقيه ابن عباد بجيش آخر والتقى الفريقان وساروا لملاقاة الأذفونش ، وكانت موقعة الزلاقة سنة « ٤٧٩هـ » وانتصر فيها المسلمون نصراً مؤزراً ، ولم تكن معركة الزلاقة نصراً لملوك الطوائف أنفسهم ، وتثبيتاً لملكهم بقدر ما كانت نقلة مباشرة نحو انهيار حكمهم ، فما كادت سنة ٤٨٤هـ تطل على الأندلس حتى كان المرابطون بعد أن استصرخهم فقهاء الأندلس لإنقاذها مما أحرق بها من أخطار الغزو الصليبي بسبب سياسة دول الطوائف الخرقاء ، فقضوا على هذه الدويلات المتناحرة وضموا الجزيرة إلى رقعة الأمبراطورية المرابطية .

(١) المعجب ، للمراكشي ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

ثانياً : البيئة الاقتصادية والاجتماعية :

من النصوص التي مرّت بنا حين عرضنا للحالة السياسية في إشبيلية إبان حكم المعتمد وما تميزت به من اضطراب ، وفتن ، وقلاقل ، فإن المجتمع الإشبيلي نتيجة لذلك طبع بشكل عام بطابع القلق والاضطراب وعدم الاستقرار نتيجة لقسوة الحياة ، وتنازع ملوك الطوائف ، وشيوع الفتن وكثرة الحروب ، وكان يعيش في دوامة من التخلخل والانحلال ، حتى كاد أن يوشك على الإفلاس والسقوط ، وعلى الرغم من أن هذا العصر امتاز بالازدهار والتقدم في النواحي العلمية والأدبية ، إلا أنه من الناحية الاجتماعية والسياسية ، كانت السمة الغالبة عليه - فيما يرى الأستاذ إميليوغرسيه غومث - هي الانهيار ،^(١) على أن الشعب الأندلسي بعامة منذ ظهور - حكم الطوائف - بدأ يعرف تغييرات جذرية في حياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية كانت تتسم جميعها بطابع الاستغلال ، والابتزاز ، وتتلون بتلون الأهواء ، والمبادرات الفردية ،^(٢) فقد " كانت دول الطوائف أقرب منها إلى وحدات الإقطاع ، وإلى عصابة الأسرة القوية ذات العصبية ، أو الجماعة القبلية في حالة الإمارات البربرية ، ومن ثم فإنه لم تكن بها حكومات منظمة بالمعنى الصحيح ، تكون مهمتها الأساسية أن تعمل لخير الشعب ورخائه ، وصون الأمن والنظام ، وإنما كانت بها أسر أو زعامات ، تعمل قبل كل شيء لمصلحتها الخاصة ، ولرفعة شأنها ، وتنمية ثرواتها ، وتدعيم سلطانها ، وبذخها " ^(٣) .

(١) الشعر الأندلسي غارثيا غومث ، ترجمة حسين مؤنس ، ص ٥٤ .

(٢) ابن صارة الشتريني حياته وشعره ، حسن الوراكلي ، ص ١٢ - ١٣ .

(٣) دول الطوائف ، عبد الله عنان ، ص ٤٠٢ .

لذلك امتاز حكام الطوائف بالاستبداد والهيمنة على الرعية بشكل تعسفي، فأثقلوا كواهل رعاياهم بما يفرضونه من فروض ومغارم لتحقيق لهم الترف والبدخ وبسبب ذلك ظهرت الطبقة في المجتمع الإشبيلي ، ويمكن لنا القول أن المجتمع الإشبيلي كان يتكون من طبقتين :

أ- الطبقة العليا :

وتنحصر في ذوي السلطان من الأمراء والوزراء والشعراء والكتاب ، وبقية وجوه الدولة ، وكان أفراد هذه الطبقة ينعمون بالثراء والترف ، ويعيشون في بذخ ولهو واستهتار ، وكان على رأس هذه الطبقة بنو عباد حكام إشبيلية ، وقد كان القاضي ابن عباد يملك من الثروة قبل توليه الحكم ثلث إشبيلية ضيقة وغلة^(١).

وقد تميزت هذه الطبقة بالإكثار من البذخ المسرف والتبذير المضيع للأموال. وقد اشتهر المعتمد بن عباد بالبذخ والإسراف ومن أمثلة بذخه وإسرافه المفرطين ماترويه كتب التاريخ عن قصة طين الكافور والمسك والعنبر وحبال الإبريسم التي أنفق بسببها أموالاً طائلة من أجل نزوة نزقة لمعت في خيال زوجته^(٢).

ومن مظاهر ترف المعتمد أيضا إكثاره من النساء وتعلقه بهن ، فقد كان يمتلك حين خلع عن عرشه ثمانمائة سريّة^(٣) كما أسرفوا في بناء القصور واختاروا لها أحسن الأسماء مثل الشريا ، وسعد السعود ، والزاهي ، والمبارك^(٤)، وجمعوا فيها آيات المجون واللهو والمتاع وفرشوها بالديباج ، وحلّوها

(١) الحلة السراء ، ج ٢ ص ٣٦ .

(٢) نفح الطيب ، ج ٤ ص ٢٧٢-٢٧٣ .

(٣) الحلة السراء ، ج ٢ ص ٥٥ .

(٤) الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٧٦ .

بالتماثيل وصور الحيوان ، وثمانيل الأسود التي ينبعث من أفواهها الماء . (١)
وقد حفل الشعر الأندلسي بوصف قصور بني عباد ، وقد وصف شاعرنا قصر
المعتمد الزاهي ، في مقدمة قصيدة مدح بها المعتمد وجاء وصف القصر في
خمس عشرة بيتاً ، وقصيدة أخرى وصف فيها قصره المبارك ، وهذا الوصف
الذي جاء في قصيدتي ابن وهبون لقصري المعتمد كما يرى شارل بلا
"تتضمن تفاصيل معمارية ذات قيمة قد يُمكن خبراء الفن الإسلامي أن يستفيدوا
منها" (٢) .

ثم إن هذا الوصف لتلك القصور نستطيع أن نتبين منه جانباً من مظاهر
بذخ ابن عباد ، وكيف كان يبدد أموال وخزائن دولته دونما روية ، ولا
تعقل ، " وفضلاً عما كان يتخذه هؤلاء الحكام في أبهاء قصورهم من فاخر
الرياش ، ورائع الأثاث ، فقد كانوا يقيمون من الولائم والمآدب ما يلبث أن يغدو
مضرب الأمثال في الأبهة والعظمة ... وقد شاهد يوسف بن تاشفين إحدى ولائم
المعتمد في إشبيلية فقال : "... الذي يلوح لي من أمر هذا الرجل أنه مُضَيِّعٌ لما
في يده من الملك ، لأن هذه الأموال الكثيرة التي تصرف في هذه الأحوال لا بد أن
يكون لها أرباب لا يمكن أخذ هذا القدر منهم على وجه العدل أبداً ، فأخذُه
بالظلم ، وإخراجه في هذه الترهات من أفحش استهتار ، ومن كانت همته في هذا

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٥٠٨ - ٥٧٥ .

(٢) عبد الجليل بن وهبون المرسي ، (شاعر أندلسي متشائم) ، شارل بلا ، مجلة الفيصل ، العدد ٢٥ ،

رجب ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م .

الحد من التصرف فيما لا يعدو الأجوفين متى تستنجد همته في ضبط بلاده ، وحفظها ، وصون رعيته والتوقير لمصالحها" (١) .

كما تميزت حياتهم بتلك المجالس الخمرية التي تصحبها أصوات الموسيقى والغناء (٢) وبلغ من اهتمامهم بفن الغناء أن مارس بعضهم هذا الفن واتخذوه هوى له فقد عرف عن الرشيد بن المعتمد أنه كان يجيد الضرب على العود (٣) .

ويؤكد شهرة إشبيلية في فن الغناء والموسيقى تلك المناظرة التي جرت بين ابن زهر ، وابن رشد في المفاضلة بين قرطبة وإشبيلية فقد قال الأخير لابن زهر : " ما أدري ما تقول غير أنه إذا مات عالم بإشبيلية وأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها ، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى إشبيلية " (٤) .

ب - الطبقة الدنيا :

وعاش بجانب هذه الطبقة الغنية القادرة طبقة أخرى مكافحة مكدودة تمثل طبقة العامة من الفلاحين وأصحاب المهن المتواضعة تعيش للبؤس ، وتحيا للحرمان لتنعم الطبقة الأولى بمجون الغنى ولهو الشراء .

وقد أثقلت كواهل هذه الطبقة بالضرائب التي كان يفرضها ملوك بني عباد عليهم " وكانت ترتفع كلما كانت الحروب والفتن دائرة بين الأمراء أنفسهم ،

(١) ابن صارة الشتريني حياته وشعره ، حسن الوراكلي ، ص ١٥ - ١٦ .

(٢) قلائد العقيان ، ج ١ ، ص ٥٥ - ٥٨ ط خربوش .

(٣) الحلة السيرا ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

(٤) نفع الطيب ، ج ١ ، ص ١٥٥ .

وهي في هذه الحالة العادية جزية على الرؤوس تسمى القطيع وتؤدي مشاهرة ،
وضريبة على الأموال ، والغنم والبقر والدواب والنحل ...^(١) ثم تلك الضرائب
" التي كان الأمراء يدفعونها لملوك المسيحيين من إتاوات وهدايا ، ورواتب
المرتزقة من الجنود الذين كانوا يجمعونهم من هنا وهناك ، وإذا أضفنا هذه
النفقات بعضها إلى بعض استطعنا أن نكون فكرة عن غنى الاستقراطية الحاكمة
والثقل الذي ينوء تحته الشعب ولاسيما الفلاحون " ^(٢).

٣- شخصية الفرد الإشبيلي :

لقد انعكست ألوان شتى من الأوضاع السياسية والاجتماعية والطبيعية
على حياة الفرد الإشبيلي فأثرت في سلوكه ومشاعره تأثيراً ملموساً إذ طبعت
شخصيته على وجه العموم بطابع القلق والاضطراب ، وعدم الاستقرار ، كما أدت
بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية إلى الإغراق في اللهو والحياة
الصاخبة ، وكانت لطبيعة الأندلس الرائعة الغناء دوراً كبيراً في رهافة حسه ،
وتعشقة لجمال طبيعة بلده ، وتفاعله مع هذه الطبيعة وتذوقه وإحساسه بها ،
فمال إلى الأدب وبخاصة الشعر وتولع بنظمه وحفظه ^(٣) .

(١) تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، إحسان عباس ، ص ٣٩ - ٤٢ وما بعدها .

(٢) إشبيلية في القرن الخامس - صلاح خالص ، ص ٤٥ .

(٣) اعتمدت في تقديم هذا الموجز عن (شخصية الفرد الإشبيلي) على كتاب : الشعر في ظل بني
عباد في إشبيلية ، محمد مجيد السعيد ، ص ٥٥ - ٥٨ ، وكتاب : " البيئة الأندلسية وأثرها في
الشعر الأندلسي " عصر ملوك الطوائف لسعد إسماعيل شلبي ، ص ٥٥-٥٧ .

ثالثاً : البيئة الثقافية والأدبية :

ازدهرت الحركة الثقافية والعلمية في عهد بني عباد ، واستظلت إشبيلية بظلال حركة ثقافية مزدهرة في جميع الجوانب الثقافية وشتى أنواع العلوم ، وقد ساعد على ذلك حكام بني عباد فقد اتسموا بالحرص على العلم ، والعمل على نشره وإشاعته بين الناس وعلى الرغم من انشغالهم بالقتال والحروب من أجل ترسيخ قواعد الحكم ، وتوسيع رقعة المملكة ، فقد نبغ في بني عباد شعراء وأدباء مشهورون كالمعتضد بن عباد ، والمعتضد بن عباد مما أدى إلى ازدهار الأدب في عهدهم بشكل ملموس ، ومع ذلك فقد كان للعلوم الأخرى مكانتها ومنزلتها .

فمن حيث العلوم الدينية كانت إشبيلية تزخر بالعلماء من المحدثين والفقهاء من أمثال الفقيه المحدث محمد بن ثابت بن عياش الأموي ^(١) (ت ٤٣٥ هـ) وإصبع بن راشد بن إصبع اللّخمي ^(٢) (ت ٤٤٠ هـ) ، والفقيه عمر بن الحسن بن عبد الرحمن بن عمر الهوزني (ت ٤٦٠ هـ) .

وفي علوم اللغة والنحو اشتهر علماء من أمثال أبي بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدي الإشبيلي ، صاحب كتاب طبقات النحويين ، وكتاب اختصار العين ، وكتاب ما يلحن فيه عوام الأندلس (ت ٣٧٩ هـ) ^(٣) والأعلم الشنتمري النحوي ^(٤) وكان مشهوراً بالأدب واللغة ، وله مؤلفات عديدة في الأدب منها شرح أشعار الستة الجاهليين ، وشرح الحماسة ، وله كتاب شرح كتاب الجمل للزجاجي ، (ت ٤٧٦ هـ) .

(١) الصلة لابن بشكوال ، ج ٢ ، ص ٥٢٦ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٩ .

(٣) بغية الوعاة ، ج ١ ، ص ٨٤ - ٨٥ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٦ .

وفي العلوم التاريخية : من أشهر المؤرخين في ذلك العصر المؤرخ ابن حيان صاحب كتابي المقتبس والمتين ، وهو أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن وهب ، مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الأموي ، وقد وصف المؤرخون ابن حيان ، بصدق الرواية والصراحة في سياقة الأخبار التاريخية ^(١)

وكان اتصاله ببني عباد بعد فتح قرطبة عام ٤٦٢هـ فعاش في ظلالهم مكرماً حتى وافاه أجله سنة ٤٦٩هـ ^(٢) .

أما العلوم الفلسفية فلم تجد الفلسفة أرضاً خصبة في إشبيلية ، فقد كان المعتضد بن عباد متشدداً تجاه هذا التيار ، وكان المعتمد بن عباد متسامحاً متراحياً مع المتفلسفين إلا أنه لم يكن مشجعاً لمثل هذه الاتجاهات الفكرية ؛ فقد كان اهتمامه « مقتصرأ على الأدب وما يتعلق به وينضم إليه » ^(٣) ولذلك خلا العهد العبادي من أسماء لامعة في هذا الميدان ، وكل ما سمحت به حرية المعتمد مع المفكرين والمتفلسفين إباحة تداول كتب الفلسفة المشرقية بين الناس وإشاعتها في صفوفهم ، مما كان له أثر غير قليل في ظهور بعض الشعر الفلسفي عند بعض الشعراء في تلك الفترة .

وفي العلوم التطبيقية اشتهر في علم النبات أبو عبد الله بن بصال ، وله كتاب في الفلاحة ، قدم إلى إشبيلية بعد سقوط طليطلة ؛ فَعُهِدَ إليه بالإشراف على بساتين العباديين ^(٤) .

(١) تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، ص ٢١١ .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ، ج ١ ، ص ٤٥٧ .

(٣) المعجب للمراكشي ، ص ١٥٨ .

(٤) دول الطوائف لمحمد عبد الله عنان ، ص ٤٢٠ .

ومنهم أيضاً العالم النباتي أبو عمرو أحمد بن محمد بن حجاج ، وله كتاب في الزراعة اسمه : المقنع (١) .

وفي علوم الهندسة والحساب : نبغ خالد بن محمد بن عبد الله بن زين الإشبيلي (ت ٤٣٦ هـ) (٢) .

ومروان بن الحكم القرشي الإشبيلي (ت ٤٦٢ هـ) (٣) .

والى جانب الحركة ازدهرت الحياة الأدبية بإشبيلية والتف حول بني عباد جملة من الشعراء منهم : ابن زيدون وابن عمار وأبو عامر بن مسلمة وأبو جعفر ابن الأبار وأبو بكر بن القصيرة وابن اللبانة وابن حمد يس وابن وهبون، وغيرهم كثير .

وقد كان عهد ملوك الطوائف عهداً عظيماً للشعر والشعراء ، يقول الشقندي في رسالته : « ولم تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادي النواسم بين الرياض ، وتفتك في أموالهم فتكة البراض حتى إن أحد شعرائهم بلغ به ما رآه من منافستهم في أمداحه أن حلف ألا يمدح أحداً منهم بقصيدة إلا بمائة دينار » (٤) وقد كانت عناية بني عباد أصحاب إشبيلية بالشعر أعظم وأشمل ، وكان المعتمد بن عباد وأبناؤه كلهم شعراء ولكنه بزَّهم جميعاً . ويقول فيه المراكشي : « وكان لا يستوزر^{وزيرا} إلا أن يكون أديباً شاعراً حسن الأدوات فاجتمع له من الوزراء الشعراء ما لم يجتمع لأحد من قبله » (٥) .

(١) دول الطوائف لمحمد عبد الله عنان، ص ٤٢٠ .

(٢) الصلة لابن بشكوال ، ج ١، ص ١٧٩ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٢، ص ٦١٧ .

(٤) نفح الطيب ، ج ٣، ص ١٩٠ .

(٥) المعجب للمراكشي ، ص ٦٥ .

ومن عجيب ما يروى أن أهالي قرية شَلْبُ ، كانوا يقرضون الشعر حتى قيل: « قل أن ترى من أهلها من لا يقول شعراً ولا يعاني الأدب ، ولو مررت بالفلاح خلف فدانه وسألته عن الشعر قرض من ساعته ما أقترحت عليه وأي معنى طلبت منه » (١) .

هذه صورة موجزة عن البيئة الثقافية والأدبية في إشبيلية ولكنها تعكس لنا مدى التطور والازدهار الذي حفلت به في عهد بني عباد على الرغم من التفكك السياسي للبلاد .

(١) معجم البلدان للحموي ، ج ٣ ، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .



المصادر التي بين أيدينا ليس فيها من أخبار ابن وهبون سوى نتف قليلة ، ولمحات خاطفة ، لا توضح كيفية نشأته وطريقة عيشه ونوع سلوكه في حياته الاجتماعية ولا تبين طريقة تفكيره ، ومدى ثقافته ، ومع ذلك نحاول في هذا الفصل أن نجمع بين هذه الأخبار المتفرقة ، والإشارة الخاطفة لتكون منها صورة لحياته ، وسيكون اعتمادنا الأساسي في رسم ملامح شخصيته على ما بقى لنا من شعره بوصفه وثيقة تاريخية آملين أن ينير تلك العتمة ويجلو ذلك الغموض الذي يحيط بسيرته ، وأحداث حياته .

إسمه وكنيته ولقبه :

إسمه : عبد الجليل بن وهبون ، وكنيته أبو محمد .

ولقبه : الدمغة . يقول ابن بسام في معرض تعليقه على بيت من قصيدة لابن وهبون في رثاء أستاذه الأعلام ^(١) الشنتمري وهو قوله :

نفسى وحسى إن وصفتهما معاً

آل يذوب وصخرة خلقاء

» وما أعجب أيضاً قوله عن جسمه بأنه صخرة خلقاء ، اللهم إلا إن كان

عنى بذلك رأسه لأنه كان يلقب بالدمغة » ^(٢) .

(١) الأعلام الشنتمري : هو يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي ، أبو الحجاج المعروف بالأعلام (٤١٠-٤٧٦) . عالم بالأدب واللغة ، ولد في شنتمية الغرب ، ورحل إلى قرطبة ، وكف بصره في آخر عمره ، ومات في إشبيلية . كان مشقوق الشفة العليا فاشتهر بالأعلام . انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ، ج٧ ، ص٨١ ، وبغية الوعاة في طبقات النحاة للسيوطي ، ج٢ ، ص٣٥٦ ، ونكت الهميان في نكت العميان ، للصفدي ، ص٣١٣ ، والأعلام للزركلي ، ج٨ ، ص٢٣٣ .

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ، تحقيق إحسان عباس ، ق٢ ، م١ ، ص٤٧٩ . وقد علق محقق الكتاب على ذلك بقوله : «لعل لهذا اللقب صلة بقولهم "الدامغة" وهي الشجة التي تبلغ الدماغ ، وإن كنت أرجح أن اللقب يشير إلى ضخامة رأس عبد الجليل وإنه لذلك نبز عامي" . انظر الهامش رقم (٢) .

أما نسبته : « المرسي » فالإلى مدينة مرسية . (١)

مولده ونشأته :

مكان وتاريخ ولادته :

لم أقف على تاريخ ولادته فيما أمكنتني الرجوع إليه من المصادر القديمة ، وقد أشار عمر فروخ كما ورد في دائرة المعارف الإسلامية حين عرف بالشاعر أنه ولد بين سنة ٤٣٠ و سنة ٤٤٠ تقريباً وليس يقيناً (٢) أما مكان ولادته فقد أجمعت المصادر التي رجعنا إليها أنه ولد بشرق الأندلس في مدينة مرسية يقول ابن بسام : « وكورة تدمير أفقه الذي منه طلع ، وعارضه الذي فيه لمع » (٣) ومرسية قاعدة تدمير (٤) ، ويؤكد ذلك أنه كان دائم التعلق بها والحنين إليها : « وكانت له كل عام رحلة يتعهد فيها بلده وأهله » (٥) .

(١) مرسية : قاعدة تدمير ، « ... وهي من بنيان عبد الرحمن الحكم المرواني سلطان الأندلس ...

ومرسية أخت إشبيلية ، هذه بستان شرق الأندلس وهذه بستان غربها : قد قسم الله بينهما النهر الأعظم ، فأعطى هذه الذراع الشرقي ، وأعطى هذه الذراع الغربي ، ... ولمرسية فضل ما يصنع فيها من أصناف الحلل والديباج ، وهي حاضرة عظيمة شريفة المكان كثيرة الإمكان . » انظر المغرب في حلى المغرب ، لابن سعيد ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ ، والروض المعطار ، للحميري ، ص ٥٣٩ .

(٢) انظر عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٤ ، ص ٦٦٣ ، ودائرة المعارف الإسلامية باللغة الإنجليزية ، ج ٣ ، ص ٩٦٣ .

(٣) الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٤٧٤ .

(٤) تدمير بالضم ثم السكون ، وكسر الميم ، وباء ساكنة ، وراء : « كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان ، وهي شرقي قرطبة ، ولها معادن كثيرة ومعقل ومدن ورساتيق . . » . معجم البلدان لياقوت الحموي ، ج ٢ ، ص ١٩ . الروض المعطار للحميري ، ص ١٣١-١٣٢ .

(٥) الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٤٧٥ .

أما عن نشأته وأسرته، فإن المصادر التي رجعت إليها لم تذكر شيئاً ذا بال ولعل إغفال المؤرخين الحديث عن ذلك يشير إلى أنه نشأ في أسرة فقيرة مغمورة حتى أن ابن بسام عندما ترجم لابن وهبون في كتابه (الذخيرة) ذكره مع شعراء غرب الأندلس ولم يجعله ممن ترجم لهم من شعراء شرقي الأندلس إذ يقول:

«وإنما ذكرته في هذا القسم الغربي مع أهل إشبيلية لأنها بيت شرفه المشهور ومسقط عيشه المشكور ، طراً عليها منتحلاً للطلب وقد شدا طرفاً من الأدب». (١)

نفهم من هذا أن ابن وهبون هاجر إلى إشبيلية طلباً للرزق وطمعاً في المجد الأدبي لاسيما وأن عاصمتهم آنذاك كانت مقصد رواد الأدب وكعبة الشعراء والأدباء. (٢) وفي سبيل تحقيق ذلك نجد ابن وهبون في موطنه الجديد يتصل بالأستاذ الأعلم الشنتمري زعيم البلد آنذاك كما يصفه ابن بسام : " وكان الأستاذ أبو الحجاج الأعلم يومئذ زعيم البلد وأستاذ ولد المعتمد فعول عليه من رحلته وانقطع إليه بتفصيله وجملته ، وكانت له في أثناء ذلك همة تتراعى به إلى العلا ترامي السيل من أعالي الربى.. " (٣)

والذي نفهمه من هذا أن ابن وهبون كان قاصداً الاتصال بالأعلم حيث كان يرى أنه هو الذي يستطيع أن يساعده على تحقيق ذلك المجد والطموح الذي ترك بلده من أجله وذلك للمكانة الكبيرة التي كان يتمتع بها الأعلم الشنتمري، لدى بني عباد لذلك نجد ابن وهبون يلزم الأعلم ملازمة غير منقطعة ، ويبذل كل ما

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٤٧٤ .

(٢) الشعر في ظل بني عباد ، محمد مجيد السعيد ، ص ٣٠٣ .

(٣) الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٤٧٤ .

لديه من كفاءات كي يلفت نظر أستاذه إليه وينال إعجابه ، مما جعل الأعلام يهتم به ويفسح له مجال الاتصال بالأوساط العلمية والأدبية .. » وكان بين أبي الحجاج الشنتمري وأبي مروان بن سراج ^(١) ما يكون بين فحلين عظيمين من صراع وتنافس ، فمدح الثاني المعتمد بن عباد بقصيدة بائية ، جمع فيها كل قدراته ومواهبه من متانة في الأسلوب ، ورصانة في التعبير ، وتماسك في البناء ، كأنه بذلك يعرض قوته وباهي بمقدرته ، وفيها عرض بالأعلام : فحينما سمع الأستاذ الأعلام الشنتمري بذلك صمت وأحجم عن جوابه ، لكنه في الوقت نفسه ولّى تلميذه الشاعر المجهول عبد الجليل أمر الرد عليه ، فنظم قصيدته البائية في مدح المعتمد والتي أولها « هوى بين النجوم له قباب » .

ورغم أن هذه القصيدة - كما يقرر ابن بسام - ليست من القوة والمتانة بالقدر الذي كان بوسعه أن تصمت أبا مروان بن سراج وتكشف قصيدته وتطمسها ، لكنها استطاعت أن تنال إعجاب ابن عمار وزير المعتمد وأن تلفت نظره إلى صاحبها المغمور ، فأخذ بيده وشجعه ^(٢) .

فكانت هذه الحادثة وتلك القصيدة أولى درجات سلم المجد الأدبي الذي ارتقاه الشاعر بعد ذلك ^(٣) .

(١) انظر ترجمته في بغية الوعاة ، ج ٢ ، ص ١٠٨ . الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٨٠٨ . القلائد ، ط

خربوش ، ج ٣ ، ص ٦٠٥ ، والمغرب ، ج ١ ، ص ١١٥ .

(٢) الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٤٧٥ . والشعر في ظل بني عباد ، ص ٣٠٣ .

(٣) صلاح خالص (ابن وهبون الأندلسي) . مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، عام ١٩٦٩ م ، العدد

(١٢) ص ٥٣٤ .

ابن وهبون بين يدي المعتمد :

هاجر ابن وهبون من بلده (مرسية) إلى إشبيلية يوجهه أمل عريض وطموح لا حدود له ، ورغبة جامحة في تحقيق مستوى معيشي أفضل ، ومجد أدبي رفيع ينتشله مما كان يعانيه من شظف العيش بين أفراد أسرة مغمورة متواضعة ، ولما قدم إشبيلية قصد الأستاذ الشنتمري وعلق آمالاً عريضة على ذلك الاتصال وحدث أن مدح أبو مروان بن سراج المعتمد بقصيدة ، قالوا إنه عرض فيها بالأعلم .. وقد كان بينه وبين الأعلم تنافس شديد ، وعندما أبلغ الأعلم ، على ما أسلفنا الإشارة إليه ، بذلك أحجم عن الرد على ابن سراج ، وعرض القصيدة على ابن وهبون ، وولاه أمر الرد عليها ، فقال في ذلك قصيدة بائية أولها « هوى بين النجوم له قباب » ولما سمعها ابن عمار خادم الدولة يومئذ طار بذكره ، وأجناه ثمارها وباهى به أقمارها ، وخلع عليه أصائلها وأسحارها ، ووافق من المعتمد ناقدًا بصيرًا ، وعاشقًا قديرًا ، فأغلى بتلك الأعلاق ، وأقام له الدنيا على ساق وقصر عبد الجليل على هواه ، فلم يرحل إلى ملك سواه ^(١) فكانت هذه القصيدة سبباً في وصول ابن وهبون إلى بلاط المعتمد ، وأصبح أحد شعرائه ، وبذلك بدأ يتحقق له ما كان يصبو إليه . وقد ظل ابن وهبون حتى نهاية حكم المعتمد عام ٤٨٤هـ - وهو العام الذي شهد دخول المرابطين الأندلس وسقوط حكم ملوك الطوائف ، وفي هذا العام نفسه توفي ابن وهبون - شاعراً رسمياً في بلاط المعتمد وكان يتمتع بمرتب شهري معين له ، إضافة إلى الهبات والعطايا التي كان المعتمد يهبها له ويمنحه إياها بين الحين والآخر ، وخلال هذه الفترة نجده يقف جُلَّ شعره على مدح المعتمد والإشادة به وتسجيل مآثره

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٤٧٤-٤٧٥ .

وانتصاراته في المعارك التي خاضها ضد النصارى، و كان وفياً مخلصاً للمعتمد، فقد امتنع طيلة مقامه بإشبيلية عن تقديم مدائحه لأحد سواه، روي أن ابن وهبون اجتاز بالمرية وهو في طريقة إلى « مرسية » وكان ملك الأولى آنذاك المعتصم بن صمادح فاهتز لابن وهبون وعرض عليه مالاً وفيراً فلم يقبل ذلك، وكان العيد قد اقترب فقال :

دنا العيد لو تدنو لنا كعبة المنى

وركن المعالي من ذؤابة يعرب

فيا أسفا للشعر ترمى جماره

ويا بعد ما بيني وبين المحصب (١)

ابن وهبون وابن عمار: (٢)

لا شك أن علاقة قوية كانت قائمة بين ابن وهبون وابن عمار، فقد صادقه ابن عمار وأخلص له ورفع قدره وأكرمه، ويبدو أن هذه العلاقة قد سبقت لقاء الشاعر بالملك العبادي، بل إن ابن عمار كان سبباً في وصول الشاعر إلى بلاط المعتمد كما فهمنا من رواية ابن بسام حين عرض ما كان بين الأستاذين أبي الحجاج وأبي مروان بن سراج وإن كان ابن خاقان يذكر في القلائد بعد أن تحدث عن الصلة الوثيقة والصداقة المتينة بين الشاعرين أن ابن عمار رغم ما كان يكرهه

(١) انظر القطعة رقم (٩) من المجموع .

(٢) انظر ترجمته في : الذخيرة، ق ٢، م ١، ص ٣٦٨ وما بعدها، قلائد العقيان، ج ١، ص ٢٥٣ وما بعدها، طبعة خريوش، بغية الملتبس رقم ٢٢٢٧ ط مجريط، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ٣٨٩. الأعلام، ج ٦، ص ٣١٠-٣١١، ولثروت أباطة قصة «ابن عمار». اشتملت على بعض أخباره مع المعتمد، وللدكتور صلاح خالص كتاب «محمد بن عمار الأندلسي» جمع فيه شعره، بغداد ١٩٥٧ م.

من إعجاب بابن وهبون كان لا يألو جهداً في وضع العقبات أمام صديقه الشاعر كي لا يلتقي بالمعتمد خشية ما يمكن أن يكون لهذا اللقاء من نتائج في توثيق صلة ابن وهبون بالملك وزيادة نفوذه لديه ^(١) وبالجملّة فقد نشأت بين ابن وهبون وابن عمار صداقة متينة « لوجود كثير من الصفات المشتركة ، والميول المتشابهة بين شخصيتي الشاعرين ، ونتيجة التماثل بين طفولتي الرجلين ونشأتهما وتطور حياتهما ، ورغم أن ظروفًا خاصة قد وضعت ابن عمار في مركز اجتماعي وسياسي أرجح من ذلك الذي يشغله ابن وهبون الذي لم يتجاوز شاعر بلاط ليس غير » ^(٢) .

ويؤكد قوة هذه الصداقة أن ابن وهبون هو الشخص الوحيد الذي جرؤ على رثاء ابن عمار علناً بعد نكبته ومقتله على يد المعتمد . يقول ابن بسام في هذا الشأن « وما وقفت في تأبين ابن عمار على شعر لأحد من أهل العصر غير بيت مفرد شهد أن المعتمد باشر قتله بيده وهو لعبد الجليل حيث يقول :

عجباً لمن أبكيه ملء مدامعي

وأقول لا شلت يمين القاتل ^(٣)

وهذا يدل على مدى وفاء شاعرنا لصديقه ابن عمار كما يدل على شجاعته في مواجهة المعتمد بفعلته ، ويدل من جهة أخرى على لباقتة وحسن مسلكه في رثاء صاحبه دون أن يشير غضب قاتله المعتمد وهذا كله في بيت واحد .

(١) انظر قلائد العقيان، ط خربوش، ج٤، ص٧٦٧، والذخيرة ق٢، م١، ص٤٣٤-٤٣٥.

(٢) صلاح خالص «ابن وهبون الأندلسي» مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عام ١٩٦٩م، العدد (١٢)، ص٥٤٢.

(٣) انظر الذخيرة، ق٢، م١، ص٤٣١.

ثقافته :

ليس بين أيدينا من الأخبار ما يكشف لنا في وضوح عن ثقافة ابن وهبون، ولكن قراءة متأنية لشعره تستطيع أن تكشف لنا عن شاعر ذي ثقافة عربية وأنه كان واسع الاطلاع على ديوان الشعر العربي ، والقرآن الكريم ، وعلى معرفة بأخبار العرب وسيرهم منذ الجاهلية ، كما أن ملازمته لأستاذه أبي الحجاج الأعلم الشنتمري في إشبيلية ، بعد انتقاله إليها كان لها كبير الأثر في تكوينه الثقافي والفكري، فقد كان أحسن تلاميذه وأشدهم التصاقاً به ، وأكثرهم إثارة لإعجابه وإلى جانب تتلمذه على أبي الحجاج الأعلم الشنتمري يوجد رافد آخر أمدّ ابن وهبون بثقافة متجددة ، فقد عرف عنه أنه كان يستنسخ الكتب العلمية المختلفة، حيث ورد في كتاب : (هداء مهة الكلّتين وجلاء ذات الحلتين) لابن النحاس الحلبي^(١) مانصه :

« رأيت في نسخة بـ ((أفعال ابن طريف))^(٢) رحمه الله بخط عبد الجليل ابن وهبون المرسى الشاعر الفاضل ... »^(٣) .

يمكن أن نفهم من هذا النص أن ابن وهبون كان ناسخاً للكتب ، وإن كنا لا

(١) محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر الإمام أبو عبد الله بهاء الدين بن النحاس الحلبي النحوي ، شيخ الديار المصرية في علم اللسان ، ولد في سلخ جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وستمائة ، وأخذ العربية عن الجمال بن عمرو ، والقراءات عن الكمال الضير ، وسمع الحديث من ابن اللّتي وابن يعيش ، وأبي القاسم بن رواحة وابن خليل وطائفة ، ودخل مصر ، وأخذ عن بقايا شيوخها ، ثم جلس للإفادة وتخرج به جماعة من الأئمة وفضلاء الأدب ، وكان من الأذكياء .
انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي تحقيق أبو الفضل إبراهيم ج ١ ، ص ١٣، ١٤ .

(٢) عبد الملك بن طريف الأندلسي أبو مروان النحوي اللغوي ، أخذ عن أبي بكر بن القوطية ، وكان حسن التصرف في اللغة ، وله كتاب حسن في الأفعال ، وهو كبير بأيدي الناس . مات في حدود الأربعمائة .

انظر : المصدر السابق ج ٢ ص ١١١ .

(٣) هداء مهة الكلّتين وجلاء ذات الحلتين لابن النحاس الحلبي ، نسخة على الآلة الكاتبة لدى الأستاذ الدكتور / عبد الرحمن العثيمين ص ٢ وكررها في ص ٩٢ ، وص ١١٦ .

نستطيع أن نجزم بأنه كان يتخذ من النسخ حرفة له ، والذي يبدو لي أنه كان يستنسخ تلك الكتب لنفسه ، وإذا صح ما ذهبنا إليه فيكون ذلك رافداً أكسبه ثقافة متجددة وسَّعت ثقافته ومعرفته بالشعر واللغة والنحو وربما كان هذا أثراً من تتلمذه على أستاذه الأعلام الشنتمري ، على أن استعراض شعر ابن وهبون والتأمل فيه يعيننا على استجلاء ثقافته .

ومن ذلك تضميناته بعض أبيات أو أشطر من شعر غيره كقوله :

وينشدنا [إنا غريبان هاهنا

وكل غريب للغريب نسيب]

وهذا من قول امرئ القيس من مقطوعة قالها وهو عائد من رحلته إلى قيصر عند وصوله إلى جبل عسيب حيث وجد امرأةً تدفن هناك فقال :

أجارتنا إن الخطوب تنوب

وإني مقيم ما أقام عسيب

وينشدنا [إنا غريبان هاهنا

وكل غريب للغريب نسيب]

ومن ذلك أيضاً تضمينه شطر بيت للنابغة في قوله :

لكن تحيتها قدماً وقد شهدت

[يادار مية بالعلياء فالسند]

وكذلك ضمن شطر البيت الثاني وهو للنابغة أيضاً في قوله :

لو أن لقمان يعطى عمرها بك لم

[يخن عليها الذي أخنى على لبد]

ونقع في شعره أيضاً على إشارات أفادها من القرآن الكريم ومن ذلك قوله:

يكفي المؤيد في الأعداء أن له

[عيناً من الله لا تغفى من الرصد]

فالشطر الثاني اقتبسهُ الشاعر من قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ (١) .

وقوله :

فكايله صاع المودة صافياً

[وكل مثيب بالوفاء مثاب]

فالشطر الثاني استفاده من قوله تعالى : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ (٢) .

وقوله :

كأنني واجد من عرف سؤدده

[ربح القميص سرت في نفس يعقوب]

فهذا البيت ألمح فيه الشاعرُ إلى قصة سيدنا يوسف مع أبيه وإخوانه .

كما نجد في شعره ما يدل على معرفته بأخبار العرب وسيرهم كقوله :

قضى الله أني في الثناء عليكم

[زياد وأنني في الوفاء قصير]

وهذا مأخوذ من القصة المشهورة في انتقام عمرو بن عدي من (الزباء) في

(١) سورة آل عمران ، الآية رقم (٣) .

(٢) سورة الرحمن ، الآية رقم (٦٠) .

الجاهلية .

وكذلك كان يطعم شعره ببعض الأمثال كقوله :

ستسألك النساء ولا رجال

[فحدث ما وراءك يا عصام]

فالشطر الثاني مأخوذ من المثل المشهور : (ما وراءك يا عصام) .

والذي ورد أول ما ورد في قول النابغة :

فإنني لا ألومك في دخول

[ولكن ما وراءك يا عصام]^(١)

ومما تقدم نرى أن ثقافة ابن وهبون كانت تقوم على إجادته للغة العربية من نحو وصرف وبلاغة ، وعلى سعة اطلاعه على ديوان الشعر العربي ، والقرآن الكريم ، ومعرفته بأخبار العرب وسيرهم منذ الجاهلية ، تجلّى ذلك كله فيما ضمنه شعره من أمثال أو إشارات إلى قصص أفادها من القرآن أو التاريخ الإسلامي .

(١) انظر : مجمع الأمثال للميداني ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .

شخصيته وموقفه من الحياة : (١)

كان إحساس ابن وهبون بالغربة بارزاً في شعره إذ يقول :

قل الوفاء فما تلقاه في أحد

ولا يمر لمخلوق على بال

وصار عندهم عنقاء مغربة

أو مثل ما حدثوا عن ألف مثقال

ففي هذين البيتين تتجلى مرارة الإحساس بالغربة ومبعث ذلك هو الفضائل المفقودة بين الناس التي من شأنها تقوية الشعور الإنساني بالألفة والترابط ، فالمجتمع الذي كان يعيش فيه ابن وهبون كان يفتقد خصلة الوفاء ، تلك الخصلة التي أصبحت ضرباً من المستحيلات التي لا يمكن تحقيقها في ذلك المجتمع ، وحديث ابن وهبون عن الوفاء وشعوره بفقدانه يؤججه طبع سليم ، وخلق قويم فطر عليه ، فسيرة الرجل وأخباره تدل على تشبته بفضلية الوفاء يظهر ذلك جلياً في وفائه للمعتمد إذ وجدناه - فيما سبق - يمتنع عن تقديم مدائحه لأحد سواه طوال مقامه بإشبيلية ، كما كان وفياً لصديقه ابن عمار إذ أنه الشاعر الوحيد الذي جرؤ على رثائه عندما قتله المعتمد كما قرر ذلك ابن بسام (٢) .

(١) سنحاول في هذه الصفحات أن نتبين الخطوط العريضة لشخصية ابن وهبون وموقفه من الحياة وذلك من خلال شعره .

(٢) الذخيرة لابن بسام ، ق ٢ ، م ١ ص ٤٣١ .

والذي يتأمل في شعر ابن وهبون يجد الشكوى الدائمة من ويلات الدهر
وصروفه ، وتقلب أيامه ولياليه ، وهذا ما فجر في شعره ينابيع الحكمة والنظرات
العميقة في الحياة والأحياء والشعور بالمرارة وعدم الرضا والسخط على حظه في
الحياة والإحساس بالغبن الاجتماعي ، ومبعث هذا نشأة الشاعر في شظف من
العيش يعاني الفقر والحرمان ، فكانت تلك النظرات التأملية نتيجة طبيعية
لشخصيته ، وتجاربه الذاتية الخاصة ، ومعاناته اليومية ونوع علاقاته مع الآخرين
وخبرته بالناس الذين خبرهم فوجدهم يعاسيب تلدغ ، وفتش عن الصدق فلم يجد إلا
الكذب والخداع :

أطلت في الدهر تصعيدي وتصوبي

ودهر ذي اللب مضمار التجارب

ورب أخرق لا يهـدى إلى فـمه

أصاب غرة مأمول ومرغوب

وآفتي أدب بادٍ فضيلته

من حيث يشفع لي قد صار يغري بي

كفى من اللّـحظ أني لا أنافس في

حظ ومخبرتي تكفي وتجريبي

وقد أرى صوراً في الناس ماثلة

أشيمها بين تحقيق وتكذيب

لما ملأت يدي منهم لأخبرهم

نفضت كفي بأشباه اليعاسيب

بيض وجوههم سود ضمائرهم

فما حصلت على عرب ولا نوب

الصدق أولى بمن يبدي ضغينته

لا تجعل الصدق في نعت الأصاحب

وفي موقف آخر نراه ساخطاً على حظه في الحياة ، التي حرمته المجد
والشهرة ، والسعادة . يقول :

يعز على العلياء أني خامل

وإن أبصرت مني خمود شهاب

وحيث يرى زند النجابة واريا

فثم يرى زند السعادة كابي

لذلك لجأ إلى الدهر يذمه :

وإني لفي دهر فرائس أسده

سُدًى عبثت فيه نُيوب كلاب

أتخفى على الأيام غر مناقبي

وقد بذ شأوي شأو كل نقاب

ويركبنني رسم الخمول وقد غدت

خصال العلا والمجد طوع ركابي

فمع أنه كان يملك طموحاً جامحاً وطاقات هائلة وإمكانات كبيرة ،
وكفاءات لا حد لها ، تملأ نفسه آمال عريضة واسعة فإن الحياة تظلمه ولا أحد
يقدر موهبته ولكنه مع ذلك لن يكل ولن ييأس ، بل سيشق طريقه بهمة وعزم
ليحقق ما يريد ويصل إلى ما يصبو إليه :

سأرقى بهماتي قصارى مراتبي

وإن كان أدناها يطيل طلابي

لتعلم أطراف الأسنة أنني

كفيل بها عند الصدا بشارب

وتشهد أطراف اليراعات أنني

بهن مصيب فصل كل خطاب

وليس نديمي غير أبيض صارم

وليس سميري غير شخص كتاب

مضمخة لا بالخلوق أنا ملي

مزعفرة لا بالعبير حرابي

ولكن بنفح يخجل الروض زاهراً

ولكن بدعس في كلى ورقاب

ومن لم يخضب رمحه في عداته

تساوت به في الحي ذات خضاب

ومن لم يحل السيف من بهم العدا

تحلى بخزي في الحياة وعاب

إذا ورق الفولاذ هز تساقطت

ثمار حتوف أو ثمار رغباب

ومن يتخذ غير الحسام مخالبا

فما هو إلا وارد بسراب

ومن غره من ذا الأنسام تبسم

فبالعقل قد أضحي أحق مصاب

فهذه الأبيات لا تحمل يأساً بل تتدفق عزيمة وهمة ، إنها صورة إنسان يدرك مشقات الكفاح ، وصعوبات الحياة ، ومع ذلك فإنه يشق في نفسه ويؤمن بمقدرته على تذليل كل عسير ، وأقتحام كل عقبة كأداء مهما كانت صورتها وحقيقتها.

كما نلاحظ ذلك الإصرار على شق طريقه في الحياة ، وتحقيق طموحه وآماله :

بيني وبين الليالي همّة جَلَلُ

لو نالها البدر لاستخذى له زحل

سراب كل يباب عندها شنب

وهو كل ظلام عندها كحل

ولكنه على الرغم من ذلك لا يحظى بما يريد في الحياة والذنب في ذلك

ليس ذنبه :

ذنبى إلى الدهر إن أبدى تعنته

ذنب الحسام إذا ما أحجم البطل

فيزداد سخط ابن وهب على الدهر ، فيقول :

يا طالب الوفر إنى قمت أطلبها

علياء تغنى بها الأسماع والمقل

لا كان للعيش فضل لا يجود به

يكفى المهند من أسلابه الخلل

لكن بخلت بأنفاس مهذبة

تروي العقول وهن الجمر والشعل

ثم أخذت خيبة الآمال تحز في نفسه واليأس يتسرب إلى قلبه خاصة بعد أن

ابتدأ زيف المحيطين به يتكشف وصار يرى المستقبل أكثر ظلمة وطريق الحياة

أكثر وحشة ، تأمل معي كيف يصور كذب الحياة وزورها وهو لا يزال في ريعان

الشباب :

قتلت بني الأيام خبراً فباطني

مشيب وما يبدو عليّ شباب

ولما رأيت الزور في الناس فاشيا

تخيل لي أن الشباب خضاب

نراه يتعجب لهذا المشيب المبكر الذي جعله يشعر بخيبة أمل في
المستقبل بعد أن فقد شبابه وصباه حتى خيل له أن لا شباب له .

ثم بدأت ثورته تلك تخدم أو كادت عندما تقدمت به السن وزادت التجارب
ليحل محلها الاستسلام وقبول أحكام القدر كما هي ، فالحياة مليئة بالمرارة
وهكذا تحولت نظرته إلى الحياة إلى نظرة واقعية يمكن أن نستشفها من قوله :

لم يقصد الدهر إصلاحاً ولي مثل

في الغصن تذهب عنه صورة الغيد

طوى الزمان ليليات نعمت بها

رنا بعين الرضا منها ولم يكد

وقاتل الله أدوار السنين فكم

مزجن بالسم ما احلولى من الشهد

لم يرسم الشيب في فودي خطته

إلا ترحلت اللذات من خلدي

ضيف الوقار أفدنا منه تكرمة

بما تشقف من أمت ومن أود

وأسمر الخط لا تبدو فضيلته

بغير أزرق كالنبراس متقد

للدهر عندي بنات من تجاربه

أولى وأجدرني من بيضها الخرد

الحر يرزأ إلا فضل شيمته

وإن تقلب بين البؤس والسند

وما الغنى في يد مملوءة عرضاً

لكنه في وفور العزم والجلد

ولا شك أن هذا الهدوء وهذه النظرة المستسلمة للحياة تعتبران دون شك تطوراً مهماً في تفكير الشاعر وفي موقفه من الحياة وهو تطور قد يكون طبيعياً بعد أن قضى الشاعر سنوات طويلة قريباً من بلاط المعتمد مقرباً إليه بعيداً عن نكد الحياة ومذلة الفقر والحرمان والأبيات التالية تصور لنا تلك النظرة الواقعية للحياة واستسلام صاحبها للقضاء والقدر وتزاحم الهموم على صدره وضيقة من الحياة :

تزاحمت الهموم خلال صدري

فما تركت لأنفاسي مجالا

وعنتني الزمان فصرت أردى

بما أخنى سقاماً واعتبالاً

وما خلت النسيم يكون ثقلأً

ولا نفحاته تأتي وبالا

كأنني كلما استنشقت منه

أردبسه إلى كبدي نصالاً

وكيف يصح ذو قلب أبي

إذا كان الإباء له نكالاً

مضى ماء الشبابة في الأماني

ومن ولى فما يرجو اقتبالاً

ففي هذه الأبيات يتحدث الشاعر عن نفسه شاكياً غدر الزمان ومرارة العيش وما يحس به من خيبة وغيظ تجاه الحياة ، ولا شك في أن الصورة التي عرضها الشاعر لضيقه وتزاحم الهموم على صدره رائعة أصيلة تنبئ عن أصالة شعرية ونبوغ أدبي ملحوظ .

وهكذا يرسم لنا إنتاج عبد الجليل بن وهبون التطور النفسي الذي حدث لديه ويقدم لنا صورة لحياته وهو شاب طموح فخور بنفسه معتر بكفاءاته الشعرية ، ذو ثقافة واسعة ، وهمة عالية ، وعزم متين ، غير أنه فقير معوز تلح عليه الحاجة ويأخذ بخناقة الحرمان ومع ذلك فهو ينطلق واثقاً بنفسه ومعتماً

على أسلحته التي تبدو غير كافية في خضم حياة عاصفة فيهجم ثم يدافع ،
يشعر بعد كل ذلك بالخيبة والعجز فيرضى بمصيره ، ويقنع بما قسمه له القدر
وأمر به القضاء .

بقي أن نشير قبل أن نختم الحديث عن شخصية ابن وهبون وخصائصها
النفسية والخلقية ، إلى ذلك الميل إلى الغلمان والتغزل بهم وهي ظاهرة كانت
كثيرة الشيوع في ذلك العصر وفي إنتاجه الأدبي ، غير أن هذا الميل قد اشتهر
عن ابن وهبون ، فمقت من أجلهم وهجر كما يقول ابن خاقان^(١) ولعل الظروف
الاجتماعية التي عاش فيها شاعرنا كانت سبباً لإقباله على الملذات وطلبها عند
الغلمان ، مع أن ذلك لا شك انحراف عن الفطرة والطبع السوي على أننا قد لا
نقطع بتحقيق هذا السلوك المنحرف عند ابن وهبون إذا رأينا في الشعر الماجن
عنده صدى من أصدااء ظاهرة أدبية برزت في الشعر إبان عصر الطوائف وتفشت
في شعر معظم شعراء هذا العصر ، وسنتطرق لهذه الظاهرة بشيء من التفصيل في
دراستنا لشعر ابن وهبون وخصائصه الفنية^(٢) .

والملاحظ من خلال ما قدمناه من شعر عن موقف شاعرنا من الحياة ونظرته
إلى الواقع والمستقبل إن ابن وهبون لم يخل من تمرد داخلي على المجتمع ونظرة
متشائمة للحياة يعبران عن عدم اقتناعه تماماً بما قسمه له القدر وأمر به
القضاء ، نلاحظ شخصية ممزقة تكاد تشبه إلى حد بعيد ذلك التمزق السياسي
للعصر كله أو هي بعبارة أخرى انعكاس للعصر الذي عاش فيه .

(١) قلائد العقيان ، لابن خاقان ، ط خريوش ج ٤ ، ص ٧٧١

(٢) انظر ، ص (٧٤-٧٥) من هذا البحث .

وفاته :

تضاربت الروايات في تحديد سنة وفاة الشاعر ، فمنها ما أشار إلى أنها كانت سنة ٤٨٠ هـ ^(١) ومنها ما أكد أنها كانت سنة ٤٨٣ هـ ^(٢) اعتماداً على خبر رواه ابن خفاجة ^(٣) ومنها ما قدر أن تكون سنة ٤٨٤ هـ ^(٤) .

وأمام هذا التضارب بين التواريخ رأينا ترجيح واحد منها هو الذي رواه ابن بسام وهو شاهد العصر إذ قال : « ولما ابتدأت الفتنة بالمعتمد بادر بالخروج عن البلد فلم يغن عنه نفاره ، وأدركه مقداره على قرب من مرسية لقي قطعة من خيل النصارى فتورط فيهم ، وقضي له بالشهادة على أيديهم ^(٥) » .

وكان ذلك سنة (٤٨٤ هـ) حين حاصر المرابطون إشبيلية وقضوا على ملوك الطوائف .

(١) بغية الملتمس للضبي ، ص ٣٧٥ ، ط مجريط ، والمضطرب لابن دحية ، ص ١١٨ ، والشعر الأندلسي لغارثيا غومث ، ص ٥١ .

(٢) قلائد العقيان ، ط خربوش ، ج ٤ ، ص ٧٤٣ ، وتاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، ج ٤ ، ص ٦٦٤ .

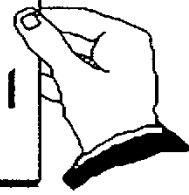
(٣) ديوان ابن خفاجة ، تحقيق مصطفى غازي ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٤) الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٤٧٥ ، والشعر في ظل بني عبّاد ، محمد مجيد السعيد ، ص ٣٠٥ .

وصلاح خالص ، مجلة كلية الآداب ، بغداد ، العدد (١٢) عام ١٩٦٩ م ، ص ٥٥٦ ودائرة المعارف الإسلامية باللغة الإنجليزية ، ج ٣ ، ص ٩٦٣ .

(٥) الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٤٧٥ .

الباب الثاني



شعر ابن وهب
موضوعاته
وخصائصه الفنية

الفصل الأول :
في الموضوعات

الفصل الثاني :
في الخصائص الفنية

الفصل الأول
في الموضوعات

فن المديح :

طغى شعر المديح على سائر الأغراض الشعرية لدى ابن وهبون من حيث الكم ،
فقد استحوذ غرض المديح على ثلاثة أرباع ما وصلنا من شعره إذ بلغت أبياته
المدحية فيه ثلاثة وتسعين ومائتي بيت .

وهذه العناية الفائقة بفن المدح ليست غريبة على شاعر متكسب يعيش من
فنه ، فقد خرج من بلده لا يملك إلا شعره وطموحه في تحقيق مجد أدبي ، وشهرة
عالية ، وثروة تنسيه أيام بؤسه وفقره الذي عاناه في مرسية منذ نعومة أظفاره ،
فليس غريباً أن يتكسب بشعره لاسيما في ذلك العصر الذي راج فيه شعر المديح
بسبب تنافس ملوك الطوائف في اجتذاب الشعراء والإغداق عليهم بالهبات
والعطايا . يضاف إلى ذلك أن ابن وهبون نفسه كان يرى أن وظيفة الفن هي مدح
الأمراء وتسجيل مآثرهم وأمجادهم ، لذلك عليهم أن يزيدوا في النوال للشعراء
حتى يحسنوا المدح ، وقد عبر عن ذلك في هذه الأبيات :

ألستم معشر الأملاك طائفة

تقضي بتخليدها هذي الأناشيد

فإن نقصتم أناساً من نوالكم

فحق منكم لأهل الشعر تزويد

لكم خلقنا ولم نخلق لأنفسنا

فإنما نحن تميميد وتمجيد

يا صاحب المجد إن المجد سائمة

تضل إن لم يكن بالشعر تقييد

خذني بما شئت من غراء شاردة

يصغي الأصم إليها وهو مفؤود

واعذر بتقصيره من لا يزال له

في ساقه الرزق إرقال وتوخيد

لا يدرك القوت مما أنت واهبه

حتى يطول من العمال تنكيد

وليس للشعر إلا خاطر يقط

يهزه منك ترفيه وتأييد

وما المدائح إلا بالملوك وهل

يبدي سنا العقد إلا النحر والجيد

إنه يرى أن الشعر لا وظيفة له إلا المدح وتسجيل مآثر الملوك ومفاخرهم التي
لولاه لضاعت وتبددت ، وواجب الملوك هو الإغداق على الشعراء ، ويؤكد وجود هذا
المفهوم لدى ابن وهبون ما رواه العماد الأصفهاني صاحب (خريدة القصر) أن ابن
وهبون كان يوماً في مجلس المعتمد وهو ينشد قول المتنبي في سيف الدولة
مستحسناً :

إذا ظفرت منك العيون بنظرة

أثاب بها معي المطي ورازمه

فقال ابن وهبون مرتجلاً :

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما

تجيد العطايا واللُّها تفتح اللُّها

تنبأ عجباً بالقريض ولو درى

بأنك تروي شعره لتألها

فهو لا يرى حرجاً في أن يقول للمعتمد : أكثر العطايا للشعراء يجيدوا المدح

وقد بلغت قصائد المدح فيما بين أيدينا من شعره عشر قصائد موزعة على
ممدوحيه ، وهم :

المعتمد بن عباد : سبع قصائد .

الرشيد بن المعتمد : قصيدتان .

الوزير أبوبكر بن عمار : قصيدة واحدة .

أما قصيدته في مدح ابن عمار ^(١) فنجد الشاعر يقدم لها بمقدمة حكيمية
تحتوي عنصريين :

أولهما : سعة تجاربه في الحياة :

قتلت بني الأيام خبراً فباطني

مشيب ، وما يبدو عليّ شباب

ثانيهما : أنه لم يجد لمن خبرهم من الناس وفاء ولا صدقاً .

ولما رأيت الزور في الناس فاشياً

تخيل لي أن الشباب خضاب

(١) انظر : المجموع قصيدة رقم (٥) .

ثم توصل بذكر هذين العنصرين إلى الثناء على الممدوح وتعدد مناقبه بادئاً
بأمهات الفضائل في البيتين الرابع والخامس وهي الشجاعة والكرم .

ثم بعد ذلك مضى يعدد المآثر الشخصية لابن عمار فيصفه بأفضل الصفات
الكريمة : فيصفه بالوفاء ، ذو همة عالية ، وشخصية عظيمة ، وهو رقيق الحاشية
في ساعة الهزل ، وجزل قوي في ساعة الجد :

وما كان هارون أصح وزارة

لموسى ، وهل دون السحاب حجاب

بعيد الرضى في النصح ما كان راضياً

لوآن له السبع الشداد قباب

نهوض ولو أن الأسنة مركب

ورود ولو أن الحمام شراب

مضى مثلما يمضي القضاء وهزه

همام يهز الجيش وهو هضاب

كما اقترنت بالبدر شمس منيرة

له عن سناها في الخطوب مناب

فكايله صاع المودة وافياً

وكل مشيب بالوفاء مثاب

ومن كأبي بكرٍ ليكرٍ مكارمٍ

لها من ثنائي حلية وملاب

أنافت به فوق السماكين همة

أناف عليها عنصر ونصاب

فلفظته يوم المهابة خطبة

ولحظته يوم اللقاء ضراب

له سنة في الجد والهزل مثلما

تدار كـؤوس أو تدق حراب

رقيق كما غنت حمامة أيقة

وجزل كما شق الهواء عقاب

وفي مدحه الرشيد بن المعتمد نجده في إحدى قصيدتيه اللتين وصلتنا من

شعره في هذا الأمير العبادي يشطر الكلام شطرين يتوصل بأولهما إلى ثانيهما :

الشطر الأول : أشار فيه إلى طول تجاربه وعمقها والتعرف على أنماط السلوك

عند الناس ، وأن الدهر قد يرفع الأخرق ويحط من قدر النبيه مثله ،

وقد كشفت له التجارب عما يكدر صفو النفوس من النفاق

والكذب وهو يعرض علينا ذلك في نبرات شاكية ونغمات متألمة :

أطلت في الدهر تصعيدي وتصويبي

ودهر ذي اللب مضمار التجارب^(١)

ورب أخرق لا يهـدى إلى فمه

أصاب غرة مأمول ومرغوب

وأفتي أدب باد فضيلته

من حيث يشفع لي قد صار يغري بي

(١) انظر المجموع ، قصيدة رقم (١٤) .

كفى من اللحظ أني لا أنافس في
 حظ ومخبرتي تكفي وتجريبي
 وقد أرى صوراً في الناس ماثلة
 أشيمها بين تحقيق وتكذيب
 لما ملأت يدي منهم لأخبرهم
 نفضت كفي بأشباه العاسيب
 بيض وجوههم ، سود ضمائرهم
 فما حصلت على عرب ولا نوب
 الصدق أولى بمن يبدي ضغينته
 لا تجعل الصدق في نعت الأصاحب

أما الشطر الثاني : فقد وقفه على مدح الرشيد بادئاً بالبيت التاسع الذي
 تخلص به من الشكوى إلى المدح في لطف ومهارة :

في حسن رأي عبيد الله لي عوض
 وفضله بدل من كل مطلوب

ثم جاءت الأبيات من البيت العاشر إلى الثامن عشر عرضاً لمحاسن
 الممدوح، ويغلب على الشاعر في هذه القصيدة المدح بالصفات الحسية على
 الصفات النفسية .

أما القصيدة الثانية ^(١) التي بين أيدينا من شعر ابن وهبون في مدح الأمير

(١) انظر المجموع ، قصيدة رقم (٢٢) .

الرشيد فيفتتحها بمقدمة في أربعة أبيات هي بالغزل أمس منها بالمدح ، وليس فيها من المدح سوى إظهار الطاعة للمدوح فيما عدا الغيد ، أما بقية القصيدة فتسير على بناء واحد وهو المدح بالكرم ، وقد عبر عنه الشاعر بصور مختلفة كلها تؤول إليه ، ما عدا الأبيات من (١٢) إلى (١٥) فهي أشبه بالمحامد النفسية ، ثم عاد بعدها إلى المدح بالكرم في الأبيات الثلاثة الأخيرة :

بادهتني بأياد لا يقوم بها

ما في لساني من قصد ومن لدد

عاد الزمان بما أوليتني غصناً

غضا فقامت مقام الطائر الغرد

ما عذر طبعي أن ينبو وما تركت

به أياديك من أمت ومن أود

وأثر الصنعة والتكلف باد بشكل ملحوظ على هذه القصيدة .

أما المعتمد بن عباد فقد استأثر بمعظم شعر ابن وهبون المدحي ولا غرابة في ذلك ، فهو ولي نعمته وصاحب الأيادي البيضاء عليه ، وهذا فضلاً عن مزاياه بوصفه ملكاً وبوصفه شاعراً ، ولا شك أن هذه الكثرة من شعر ابن وهبون في مدح المعتمد تدل على مدى تعلقه بالملك العبادي ، وأنه لقي منه ما كان يطمح إليه من مجد وشهرة أدبية كما تدل على وفائه وحبه الذي محضه خالصاً للملك العبادي .

فمن قصائده في مدح المعتمد هذه القصيدة التي يهجم فيها الشاعر على موضوعه دونما مقدمة ، فقد عمد إلى المدح مباشرة منادياً الممدوح بعد تشبيهه مجازياً - بربع الندى - ، ثم - بمغنى العلا - :

أربع الندى تهمني به وتصوب

ومغنى العلا نأوي له ونثوب^(١)

ثم يستطرد في المدح عن طريق كنايتين عن نسبة ، في أولاهما جعل
المجد مستقراً على سرير الممدوح ، وفي ثانيهما جعل المجد يخطب في أثناء
خطبة الممدوح :

بحيث استقل المجد فوق سرير

وقام لسان المجد وهو خطيب

وفي البيت الثالث سلك مسلك الدعاء مضمناً ذلك معنى لطيفاً هو : تشبيه
الغمام الذي دُعي لسقاء الممدوح بود الشاعر نحوه في النماء والفيض :

سقاك غمام مثل ودي ضاحك

كأن سماء الصحو منه تذوب

ومن ملامح هذه القصيدة أن الشاعر كثيراً ما يتلطف في الخروج من معنى
إلى مدح المعتمد ، ومن أمثلة ذلك :

قوله في الريع :

إذا رسبت يوماً حلاه فإنما

سماك العلا في منتدك رسوب

وقوله في البحر :

وبحر عليه للرياحين فيئة

كيمناك مخضر البرود لحوب

وفي قصيدة أخرى ^(١) نجد الشاعر يقدم لمدحه بمقدمة تبلور شكواه المريرة
من أفاعيل الدهر وانتشار الشيب في عارضيه مجسما الدهر في صورة حسية :

طوى الزمان لييلات نعمت بها
رنا بعين الرضا منها ولم يكد
وقاتل الله أدوار السنين فكم
مزجن بالسم ما احلولى من الشهد
لم يرسم الشيب في قودي خطته
إلا ترحلت اللذات من خلدي
ضيف الوقار أفدنا منه تكرمة
بما تشقف من أمت ومن أود
وأسمر الخط لا تبدو فضيلته
بغير أزرق كالنبراس متقد
للدهر عندي بنات من تجاربه
أولى وأجدر بي من بيضها الخرد
الحر يرزأ إلا فضل شيمته
وإن تقلب بين البؤس والنكد
وما الغنى في يد مملوءة عرضا
لكنه في وفور العزم والجلد

(١) انظر المجموع ، قصيدة رقم (٢٣) .

ثم يخاطب الممدوح في البيت التالي :

أو في رجا ابن عباد وقد رغبت

أيدي الملوك عن الإفضال والصفد

جامعاً فيه ما تفرق من مآثر عرف بها بعض الأعلام في التاريخ القديم .

ثم يستطرد فيصف الممدوح بالسخاء في عزم وإن تخلل عطاء الملوك غيره فترات إمساك وزهد في البذل شافعاً المدح بالعطاء ووصفه برجاحة الرأي والتأييد من الله :

يكفي المؤيد في الأعداء أن له

عيناً من الله لا تغفى من الرصد

ثم ينسب ما به من فضل ونعمة إلى الممدوح ، مصوراً مرة أخرى كرمه بعطاء المزن في الكثرة ، والخلاص من الكدر ، وله تلميحات شعرية لطيفة في موضعين من القصيدة :

(أ) ففي قوله :

لكن تحيتها قدما وقد شهدت

(يا دار مية بالعلياء فالسند)

يقتبس الشطر الثاني من قول النابغة الذبياني في معلقته :

يا دار مية بالعلياء فالسند

أقوت وطال عليها سالف الأبد

(ب) وفي قوله :

لو أن لقمان يُعطى عمرها بك لم

(يُخَنّ عليها الذي أخنى على لُبْد)

يقتبس الشطر الثاني أيضا من قول النابغة في معلقته :

أمست خلاءً وأمسى أهلها احتملوا

أخنى عليها الذي أخنى على لبـد

وفي قصيدة الثالثة ^(١)، ومطلعها :

عزم تجرد فيه النصر والظفر

وفكرة خمدت من تحتها الفكر

وفيها، كما نرى الأولى يهجم على موضوعه ولا يمهّد له ، وفيها يتكئ على

المجاز بشكل لافت للنظر ، وله فيها صور تعبيرية مبتكرة مثل قوله :

(إن كان ثوبك مختصاً بلبسه)

فقد تعلق من أذياه البشر

وهي كناية فيها جدة وطرافة كُنّى بها عن ضرورة احتياج الناس إلى الممدوح

لكن قوله " لابسـه " جاء على غير المختار وكان الأبلغ أن يقول : " مختصاً

بك " بالإضمار والخطاب بدل الغيبة إذ لا يمنع أن يكون لابسـه غير المخاطب

وتكون حاجة الناس إليه لا إلى المخاطب .

(١) انظر المجموع ، قصيدة رقم (٢٩) .

ومع أن الشاعر يبدو خصب الخيال في هذه القصيدة ، فإننا نراه أحياناً
يشطح به خياله فيأتي بمبالغات كاذبة ممجوجة مثل قوله : [يعنو لك القدر]
في البيت التالي :

لا نحسن الظن إشفاقاً وقد ضمنت

لنا مساعيك أن يعنو لك القدر

ومطلع القصيدة الرابعة : (١)

ما الشعر مرتجلاً أو غير مرتجل

ببالغ كُنه ذاك السؤددِ الجليلِ

وفيها عمَد الشاعر إلى المدح بدون وسائط ، فهي كذلك بناء واحد خال من
المداخل والمخارج . ومعاني القصيدة تقليدية ، وهي تخلو، فيما نرى ، من
حرارة العاطفة وجيشان المشاعر . إنها نظم عقلي ذهني رتيب ، وكثير من
العبارات لا تليق بمقام الشعر مثل : (كالفرق يوجد بين النقص والكمال) في
قوله :

فالفرق بينهما في كل معلوة

كالفرق يوجد بين النقص والكمال

ومثل : (فتك يسد طريق الأمن بالوجل) في قوله :

لذلك الحلم في الأعداء قد علموا

فتك يسد طريق الأمن بالوجل

ولا غرو فإن الشعر الجيد وليد العواطف الفوارة ، والإحساس الفني الصادق
وليس تركيبات عقلية أو صوراً ذهنية باهتة ، وما جرت عادة الشعراء أن
يكتسبوا من الرشف ، ولكنهم يسقون الرحيق ويشعرون بالسعادة وماء الحياة ،
فكيف يقول الشاعر :

لثمتها فرشفت العزّ ممتزجاً

فيه الغنى وأخذت الرّي في النهل

ويفتح الشاعر قصيدة أخرى ليمدح المعتمد بقوله :

محل ألبس الدنيا جمالا

وإن فضح المقاصر والخلالا (١)

وفي هذه القصيدة يسلك الشاعر مسلكاً آخرأ في تناول المدح حيث يتخذ
من وصف القصر طريقاً إلى المدح على أن طريقة مدحه القصر وقفها على الوصف
وحده سواء كان هذا الوصف واقعياً أو خيالياً ، ويضاف إلى هذا أن الزخرفة
اللفظية طغت على قلم الشاعر ، فسدت عليه طرق الابتكار في المعاني
والابتداع في التصوير .

ومن قصائده نبي مدح المعتمد هذه القصيدة التي مطلعها :

بيني وبين الليالي همّة جلل

لونا لها البدر لاستخذي له زحل (٢)

يستهل الشاعر قصيدته هذه بمدخل لطيف ضمنه الأبيات السبعة الأولى إذ

(١) انظر المجموع ، قصيدة رقم (٤١) .

(٢) انظر المجموع ، قصيدة رقم (٤٢) .

يصور لنا إصراره على شق طريقه في الحياة وتحقيق طموحه وآماله فيقول :

بيني وبين الليالي همة جلل

لوناها البدر لاستخذي له زحل

سراب كل يباب عندها شنب

وهول كل ظلام عندها كحل

ولكنه على الرغم من ذلك لا يحظى بما يريد في الحياة ، والذنب في ذلك

ليس ذنبه :

من أين أبخس لا في ساعدي قصر

عن المساعي ولا في مقولي خطل

ذنبى إلى الدهران أبدى تعنته

ذنب الحسام إذا ما أحجم البطل

ثم يزداد سخطه على الدهر فيقول :

يا طالب الوفر إني قمت أطلبها

علياء تغنى بها الأسماع والمقل

لا كان للعيش فضل لا يجود به

يكفي المهند من أسلابه الخلل

لكن بخلت بأنفاس مهذبة

تروي العقول وهن الجمر والشعل

ثم يلتفت إلى مدح المعتمد بن عباد من خلال شرط وجزاء :

(إذا مدحت ففي لخم وسيدها) .

ومعاني المدح في هذه القصيدة تدور حول محورين كبيرين :

(أ) البسالة في النزال .

(ب) التحلي بمكارم الخصال .

وأحسن الشاعر في الجمع بين الصفات النفسية والخلقية للأمير والتي أدار

عليها مدحه .

وهذه القصيدة يبدو عليها التماسك أكثر من سواها ، ومعانيها متأخية

يغلب عليها الجزالة والقوة .

وفي قصيدة أخرى جمع فيها ابن وهبون بين المدح والإشادة بانتصار المسلمين على الصليبيين في موقعة الزلاقة ، ومطلعها : (١)

أظن خطوبها قالت سلام

فلم يعبس لها منك ابتسام

وفي هذا المطلع يصور لنا ابن وهبون راحة النفس عند فرحة النصر بعد قلق الخوف .

ثم ينتقل إلى مدح المعتمد منوها بشجاعته أثناء المعركة وقوة عزيمته مصوراً انقضاء العدو عليه بعد أن طعن جواده وسقط عنه متسائلاً : أما كان له من نصير ؟ لذلك كان (فثار إلى الطعان حليف صدق) صورة من صور الإيحاء الشعري المتناسق :

وقفت بحيث تلحظك العوالي

وهنّ إلى مواردها هيام

ولم يثبت من الأشياع إلا

شقيقك وهو صارمك الحسام

يمان في يدي ماض يمان

فلانابي الغرار ولا كهام

ولم يحملك طرفك بل فؤاد

تعود أن يخاض به الحِمَام

(١) انظر المجموع ، قصيدة رقم (٤٧) .

ثبت به ثبات القطب لما

أدار رحاه خطب لا يرام

وعادتك الطعان فإن يخرؤا

جوادك بالطعان فما يلام

فشار إلى الطعان حليف صدق

تشور به الحفيظة والذمام

ثم يجمع بين الثناء على القائدين :

نمى في حمير ونمتك لخم

وتلك وشائج فيها التحام

فيوسف يوسف إذ أنت منه

كيامن لاوهى لكما نظام

نهجت لسيله نهجاً فوافى

وفي آذيه الطامي عرام

ثم كان حديثه عن هزيمة ملك الروم متأخيا مع ما تقدم ، إذ هو نتيجة للموقعة ، وتصوير الهزائم فنياً انتصار ثان للمدوح .

حيث يعرض لنا في سخرية لاذعة كيف نجا الفنش في هذه المعركة متخذاً من الليل ستاراً مع قليل من رجاله موازناً بين قدومه مغروراً ، وتولييه مدبراً :

فإن ينج اللعين فلا كحر

ولكن مثلما ينجو اللئام

فأين العجب يا أدفونش هلاً

تجنبت المشيخة يا غلام

ستسألك النساء ولا رجال فحدث

ما وراءك يا عصام

إلى أن يقول :

نضا أذراعه واجتاب ليلاً

يود لو أن طول الليل عام

وليس أوان للأيم انصلاح

ولكن في ضمائره احتدام

سيفنى حسرة وببید مهما

تخطته القناة أو الحسام

الرثاء :

من فنون القول التي يتفاوت فيها الأدباء أصالة وصدقاً وتكلفاً وتصنعاً .
فمنهم الشكلي الموتورة ، ومنهم النائحة المأجورة . وإن بيتاً واحداً تقذفه نفثة
مكلم ليعدل أبياتاً يدبجها راثٍ بلسانه لم يفجع قلبه ومن طرائف رثاء اللسان
البيت المشهور :

مات الخليفة أيها الثقلان

فكأنني أفطرت في رمضان

فقد نعى الشاعر الخليفة إلى الثقلين ، ثم مال بث أن هوى من حالى فشيبه
المصيبة بموت الخليفة بمصيبة من أفطر في رمضان ؟! مع أن الفطر في رمضان
كارثة أو واقعة فردية ، ومع فرديتها فإن لها كفارة تمحوها . أما الموت فلا يتداركه
أحد ، ولو كان الشاعر يعبر فعلاً عن نفس مكلمة ، وقلب محزون ، ومشاعر
صادقة لما وقع في هذا التردى الخطير . وقصيدة شاعرنا ابن وهبون في رثاء الأعم
يبدو عليها سمات الضحالة وتزوير الأحاسيس ، يقول في مطلعها :

سبق الفناء فما يدوم بقاء

تفنى النجوم وتسقط البيضاء (١)

فبيت المطلع معناه عام يخلو من خصوصية الفن الرثائي فضلاً عن فساد
المعنى في " تسقط البيضاء " فالشمس تكوّر ويذهب ضوءها ، أما أنها تسقط فلا .

ثم البيت الثاني الذي شبه فيه نفسه بالآل ، وهو السراب إن أراد به تفتت نفسه
من هول المصيبة فحسن بيد أنه لا يسلم له هذا المعنى من إرادة لمعان السراب
وإن كان خادعاً .

أما بقية أبيات التمهيد من البيت الثالث إلى البيت الرابع عشر فإن إحسانات الشاعر فيها تقابل قوادح فيما نرى ، فهو مثلاً في البيت الثالث يمدح نفسه ويرمي غيره بالجهل ، وهذا خرق لأدب الرثاء ، ثم يعود للحديث عن نفسه في البيت الثامن وينفي عن نفسه الغرور بطول العمر لأن أباه قد واراها الشرى ؟

أما في البيت السادس فقد وصف الشاعر الحكمة بالشناعة والوصف والموصوف متنافران ، وكفى بالحكمة مدحاً أن سميت حكمة ، فكيف تكون شنعاء . والشاعر هنا يتحدث عن سنة الله في خلقه ، فهل يصح في الخيال الصحيح أن سنة من سنن الله تكون شنيعة أم المعنى في بطن الشاعر كما يقولون ؟

والشاعر استخدم .. لَمْ .. في البيت التاسع : " لَمْ ينكر الإنسان ما هو ثابت " . ومعنى هذا أن عدم الإنكار هنا حقيقة ثابتة .

إذاً فإن قوله بعد هذا : " لو صحت الآراء " يهدم ما قرره في أول البيت . ولو أنه قال : " لا ينكر " لكان له مندوحة .

ومن البيت الخامس إلى البيت الرابع عشر عمد إلى معانٍ معروفة ولم يحسن الصياغة عنها :

طيف المنايا في أساليب المنى

وعلى طريق الصحة الأدواء

ألم تقل العرب : كفى بالسلامة داء ؟ هذا المعنى هو الذي عناه الشاعر إن الشاعر حاول في هذا المقدمة أن يكون حكيماً متفلسفاً فجانبته الحكمة وزايله

التفلسف ، فلم يرصف إلا أفكاراً مرقعة حيناً ، وباردة حيناً آخر .

أما معاني الرثاء من البيت الخامس عشر إلى النهاية فإنها معان متصيدة من خارج إحساس الشاعر وليست صورة صادقة امتلأت بها أقطار نفسه ، فدفعته دفعاً للتعبير عنها جارياً على طبعه وعفوية سليقته . إن علامة الرثاء الصادق فنياً أن يهز نفس القارئ والسامع ، وهذا ما لا نراه في قصيدة شاعرنا مع طولها النسبي ، إنها صور صوتية أكثر منها معانٍ وأحاسيس تنبض بالحركة ، وتوقض النفس من وهدتها ، وتسري في المشاعر والوجدان سريان الماء في شرايين الظامئ المحترق .

الوصف :

الوصف قليل في شعر ابن وهبون ، إذ لا يمثل الوصف لديه غرضاً مستقلاً كالمدح، والثناء مثلاً ، بل يأتي في ثنايا قصيدة المدح ، فقد كان ابن وهبون يتخذ من الوصف منطلقاً للمدح ، يأتي به مقدمة لقصيدة المدح ، أو في ثنايا قصيدة المدح ومنه ينطلق إلى الثناء على الممدوح . وهذا الغالب على فن الوصف لديه .

أما الوصف لذات الوصف . فقد بلغ ما بين أيدينا من شعر ابن وهبون فيه تسعة وعشرين بيتاً موزعة على عدد من الموصوفات التي وصفها وهي : البازي - النيلوفر - فرن - حرشفة - حرباء - وصف البحر - وصف الأسطول - وصف الخمر .

ففي وصفه للبازي يشبهه بالسيف الصارم في توقد ناظرية وحدتها ، ويشبهه بالريح في سرعته وخفته .

وصارم في يديك منصلت

لو كان للسيف في الوغى روح

يجتاب مما لبست ضافية

لها على معطفه توشيح

متقد اللحظ من سهامته

فالجو من ناظره مجروح

والريح تهفو كأنما طلبت

سليها في يمينك الريح

وفي وصف الأسطول يصور نزول بعض قطع الأسطول إلى البحر وكأنها
عروس تزف إليه :

يا حسنه يوماً شهدت زفافها

بنت الفضاء إلى الخليج الأزرق

ورقاء كانت أيكة فتصورت

لك كيف شئت من الحمام الأورق

حيث الغراب يجر شملة عجبه

وكانه من عزة لم ينعق

من كل لابسـة الشباب ملاءة

حسب اقتدار الصانع المتأنق

شهدت لهنّ العين أن شواهناً

أسمائها فتصحفت في المنطق

من كل ناشرة قوادم أفتخ

وعلى معاطفها فراهة شوذق

زأرت زئير الأسد وهي صوامت

وزحفن زحف مراكب في مأزق

ومجاذف تحكي أراقم ريسوة

نزلت لتكرع من غدير متاق

والماء في شكل الهواء فلا ترى

في شكلها إلا جوارح تلتقي

فهي حمام أورك ، أو عروس لبست ملاءة أفتن صانعها وتأنق وقد نزلت إلى الماء في عجب وخيلاء ، وبهاء منظر . وفي هذه المقطوعة أجاد ابن وهبون في رسم عدة صور : أشرعتها وكأنها أجنحة العقبان ، ونزولها بأناة ورفق وكأنها سفن في مأزق ، ومجاذيفها وقد انغمست في الماء وكأنها ثعابين الربا ألح عليها العطش فنزلت إلى الماء لتطفئ ظمأها ، وخيالها الذي تراءى في الماء الصافي فبدا مع السفينة وكأنها جوارح الطيور تلتقي في عراق ونزال ، والصورة الأخيرة من الصور الطريفة التي اهتدى إليها خيال ابن وهبون .^(١)

أما وصفه الذي جاء في ثنايا قصائد المدح فهو يأتي إما : مقدمة لقصيدة المدح مثل وصفه لقصر المعتمد (الزاهي) حيث يتخذ من الوصف مقدمة لتلك القصيدة التي مدح فيها المعتمد بن عباد .^(٢) أو يأتي بالوصف في ثنايا قصيدة المدح ويتخذ منطلقاً للمدح مثل قصيدته في مدح ابن عباد التي وصف فيها البحر حين اجتازه المعتمد للاستنجاد بابن تاشفين .^(٣)

(١) البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف ، سعد شلبي ، ص ١٣٩ .

(٢) انظر القصيدة رقم (٤١) من المجموع .

(٣) انظر القصيدة رقم (٢٩) من المجموع .

الشكوى :

الشكوى غرض قديم في الشعر العربي ، إتخذ الشعراء ميداناً لتصوير معاناتهم ، ورسم الأبعاد الحقيقية لأوضاعهم الذاتية ، والاجتماعية ، والسياسية. والشكوى في جانب كبير منها تعبير ذاتي عن هموم الإنسان وما يعرض له من مشكلات الحياة الخاصة والعامة التي تواجهه عندما تشتد ، وتتعدد ، ويفقد السيطرة عليها ، فتحيطه الهموم من كل جهة ، وعند ذلك يتضجر بالشكوى . مصوراً للآخرين مشكلته التي قد تتسع فتشمل المجتمع بأسره ، وفي كثير من الأحيان تعدد الشكوى حاجة نفسية ملحة ، فعن طريقها يتخفف المرء من أثقال همومه ، وأعباء آلامه بما يطلقه من صيحات التشكي وصرخات الألم ، وعن طريقها تتجلى ذات الإنسان فيكشف عن معاناته ، وينفث ما في صدره من آلام لم يعد في وسعه أن يتحملها ، وأن يصبر عليها .

والشكوى عند ابن وهبون تصوير صادق لذاته ومعاناته ، وقد كان الحرمان الباعث الأول والأخير لشكواه ، فقد نشأ ابن وهبون كما أشرنا سابقاً^(١) في شظف من العيش ، في أسرة مغمورة فقيرة ، ورغبة جامحة في تحقيق مستوى معيشي أفضل ، ومجد أدبي رفيع ينتشله من ذلك الوضع المأسوي ، فجاءت شكايته من الناس وتغير أحوالهم ومن الزمان وصروفه ، وتقلب أيامه ولياليه ، وما شاع في المجتمع من اختلال للمعايير والقيم والفضائل المفقودة بين الناس والتي من شأنها تقوية الشعور الإنساني بالألفة والترابط فالمجتمع الذي يعيش فيه ابن وهبون يفتقد خصلة الوفاء ، تلك الخصلة التي أصبح وجودها ضرباً من

(١) انظر ص (٣١) من هذا البحث .

المستحيلات ، فلنسمعه يقول في ذلك :

قل الوفاء فما تلقاه في أحد

ولا يمر لمخلوق على بال

وصار عندهم عنقاء مغربة

أو مثل ما حدثوا عن ألف مثقال

ومن دوافع الشكوى لديه أيضا معاناته اليومية وعلاقاته مع الآخرين ،
وخبرته بالناس والأصحاب الذين فتش عندهم عن الصدق فلم يجد إلا الكذب
والخداع :

أطلت في الدهر تصعيدي وتصوبي

ودهر ذي اللب مضمار التجارب

ورب أخرق لا يهدى إلى فمه

أصاب غرة مأمول ومرغوب

وآفتي أدب باد فضيلته

من حيث يشفع لي قد صار يغري بي

كفى من اللحظ أني لا أنافس في

حظ ومخبرتي تكفي وتجريبي

وقد أرى صوراً في الناس ماثلة

أشيمها بين تحقيق وتكذيب

لما ملأت يدي منهم لأخبرهم

نفضت كفي بأشباه اليعاسيب

بيض وجوههم ، سود ضمائرهم

فما حصلت على عرب ولا نوب

الصدق أولى بمن يبدي ضغينته

لاتجعل الصدق في نعت الأصحاب

ثم بدأ ينكشف له زيف المحيطين به ، وكذب الحياة وزورها وهو لا يزال في ريعان الشباب ، فأخذت خيبة الآمال تحز في نفسه واليأس يتسرب إلى قلبه ، بعد أن فقد شبابه وصباه حتى خيل له أن لا شباب له ، لذلك جاءت شكواه مليئة باليأس والقنوط في هذين البيتين :

قتلت بني الأيام خبراً فباطني

مشيبٌ وما يبدو عليّ شباب

ولما رأيت الزور في الناس فاشياً

تخيل لي أنّ الشباب خضابٌ

وفي موقف آخر نراه ساخطاً على حظه في الحياة التي حرمته المجد

والشهرة والسعادة :

يعز على العلياء أني خامل

وإن أبصرت مني خمود شهاب

وحيث يرى زند النجابة واريأ

فشم يرى زند السعادة كابي

كما نجده يشكو مما تكشف له عنه زمانه وجهلته عنه أيامه :

وإني لفي دهر فرائس أسده

سدى عبثت فيه نيوب كلاب

أتخفى على الأيام غر منا قبي

وقد بذ شأوي شأو كل نقاب

ويركبني رسم الخمول وقد غدت

خصال العلا والمجد طوع ركابي

ثم بدأت شكواه تخمد أو كادت عندما تقدمت به السن ، فتتحول إلى نوع من الاستسلام وقبول أحكام القدر كما هي ، ووفقَ نظرة واقعية للحياة كما يصورها في هذه الأبيات :

لم يقصد الدهر إصلاح لي ولي مثل

في الغصن تذهب عنه صورة الغيد

طوى الزمان لييلات نعمت بها

رنا بعين الرضا منها ولم يكد

وقاتل الله أدوار السنين فكم

مزجن بالسم ما احلولى من الشهد

لم يرسم الشيب في فودي خطته

إلا ترحلت اللذات من خلدي

ضيف الوقار أفدنا منه تكرمة

بما تشق من أمت ومن أود

وأمر الخط لا تبدو فضيلته

بغير أزرق كالنبراس متقد

للدهر عندي بنات من تجاربه

أولى وأجدر بي من بيضها الخرد

الحر يرزأ إلا فضل شيمته

وإن تقلب بين البؤس والنكد

وما الغنى في يد مملوءة عرضاً

لكنه في وفور العزم والجلد

وأخيراً يصور أثر همّة المتواصل والمتزايد ، وما خلفه من آثار سيئة في

نفسه، فاستحالت شكواه إلى التحسر على شبابه الذي مضى في التمني وبما

تحمله من معاني اليأس والقنوط :

تزاحمت الهموم خلال صدري
 فما تركت لأنفاسي مجالا
 وعنتني الزمان فصرت أردى
 بما أخنى سقاماً واعتبالا
 وما خلت النسيم يكون ثقلا
 ولا نفحاته تأتي وبالا
 كأني كلما أستنشقت منه
 أرد به إلى كبدي نصالا
 وكيف يصح ذو قلب أبي
 إذا كان الإباء له نكالا
 مضى ماء الشبيبة في الأماني
 ومن ولى فما يرجو اقتبالا
 وقد تميز غرض الشكوى عند ابن وهبٍ بما يلي :

١ - لم يلتزم فيها منهجاً محدداً ، فقد يفتح بها بعض قصائده ، حينئذ تكون لها دلالتها على الغرض العام للقصيدة ، وهذا الغالب على الشكوى لديه ، وأحياناً تأتي مبثوثة في ثنایا قصائده .

٢ - كانت شكواه نابعة من تجارية الشخصية ومعاناته ، لذلك جاءت صادقة الإحساس ، كما أنها جاءت صدى لحرمانه وإخفاقه في تحقيق ما كان يتمناه ويصبو إليه .

٣ - يغلب على أسلوبها استخدامه أسلوب الشرط لتعليق الجزاء على العمل في التجربة الإنسانية .

الغزل :

لم تحتل المرأة مكانة عند ابن وهبون ، فلم نجد - فيما استطعنا جمعه من شعره ، وما عثرنا عليه من أخبار عنه - حديثاً عن المرأة ، ولا إشارة إلى أنه كان متزوجاً ، بل وجدناه لا يقيم للمرأة وزناً ، بل إن بنات الدهر اللواتي استفادهن من تجاربه أولى وأجدر عنده من المرأة حتى ولو كانت بكراً ذات جمال، يقول :

للدهر عندي بنات من تجاربه

أولى وأجدر بي من بيضها الخرد (١)

ومن خلال هذا البيت يمكن أن نقدر - ظناً لا يقيناً - أن ابن وهبون لم يتزوج قط، فقد قال هذا البيت ضمن أبيات يشكو فيها من الدهر والمشيب حين بدأت ملامح الشيخوخة تظهر عليه والمشيب يغزو رأسه .

أما ما وجد من غزل لابن وهبون فقد كان غزلاً في المذكر حتى اشتهر بحبه للهو والميل إلى الغلمان فمقت من أجلهم وهجر كما يقول ابن خاقان . (٢) على أن الغزل في المذكر ظاهرة أدبية قديمة في الشعر العربي فقد وجد التغزل بالغلمان عند بعض شعراء العربية في العصر العباسي كأبي نواس وفيما تلاه من عصور الشعر العربي ، كما كانت هذه الظاهرة كثيرة الشيوع في عصر ملوك الطوائف وفي إنتاجه الأدبي ، والمتصفح لكتابي الذخيرة لابن بسام وقلائد العقيان لابن خاقان يجد كثيراً من هذا الشعر حتى قال ابن بسام : " وأما صفات المعذرين من الغلمان، فقد جرت خيول فرسان هذا الشأن بهذا الميدان ، وتفننوا في ذلك نشراً ونظماً ، وتطاردوا فيه مدحاً وذماً " (٣) .

والذي يبدو لي أن ما وجد لدى ابن وهبون من ذلك الشعر الماجن يمكن

(١) انظر القطعة رقم (٢٣) من المجموع .

(٢) انظر قلائد العقيان ، ط خريوش ، ج ٤ ، ص ٧٧١ .

(٣) الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٤٤ .

اعتباره ظاهرة أدبية أكثر منه سلوكاً خلقياً ، " وليس بعجيب أن ينغمس ابن وهبون في هذه البيئة ؛ لأنه عاش فيها ، ولأن كل الناس كانوا على تلك الحال".^(١) ولعلّ الذي أملى على الشاعر هذا المسلك هو الهروب من الواقع ، فقد كان كثير الشكوى من الزمان وأهله ، ولكي ينسى هذا الهم مال إلى هذا العالم يصفه ويصوره ، كما كان مجارة للذوق العام السائد والذي لا يجد غضاضه في سماع هذا الشعر وترديده واستحسانه .

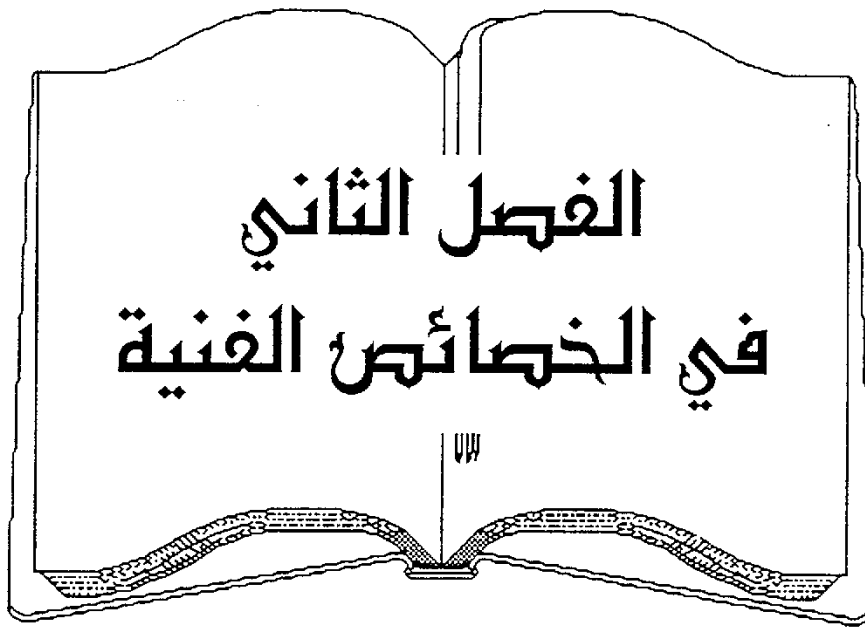
ومما لاشك فيه أن الفطر السليمة - في كل زمان ومكان - ترتفع عن هذا المرض الاجتماعي ، بالغاً ما بلغ من الذبوع والانتشار بين أوساط المجتمع كما لا نشك في أنه انحرف وانحلال أخلاقي .

ويحسبنا التمثيل لهذا الشعر عن ابن وهبون هذه الأبيات :

لأُمّ يدل على بلبال مبصره
ما زال يبعث وجدي كلما انبعثا
من آل مذحج لي شخص كلفت به
لم ينقض العهد من ودي ولا نكثا
وقوله :

أمل من الآمال أهيف أحور
خلعت عليه لطافة الأرواح
متجند جعل الفؤاد وطيسه
ولحاظه بدلاً من الأرماح
علمته سفك الدماء بمهجتي
وتركته يجني بغير جناح

(١) بلاغة العرب في الأندلس ، لأحمد ضيف ، ص ١٢١ .



الأسلوب :

الأسلوب الأدبي هو : " المنوال الذي ينسج فيه التراكيب ، أو القالب الذي يفرغ فيه " ^(١) أو هو : " التفكير والتعبير " ^(٢) وهو يمثل أداة فنية لها أهميتها وخطورتها حين يريد الأديب أن ينقل فكرته وآراءه وعاطفته ومعانيه إلى الناس ؛ ولذلك نجد بعض النقاد يضع شروطاً للأسلوب على الشاعر أن يلتزم بها ، ففي رأي حازم أن الأسلوب : " هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية والنظم ، وهيئة تحصل عن التأليفات اللفظية . ولما كان الأسلوب في المعاني بإزاء النظم في الألفاظ وجب أن يلاحظ فيه من حسن الاطراد والتناسب والتلطف في الانتقال من جهة إلى جهة والضرورة عن مقصد إلى مقصد مما يلاحظ في النظم من حسن الاطراد من بعض العبارات إلى بعض ومراعاة المناسبة ، ولطف النقلة " ^(٣) .

واللغة الشعرية ذات خصوصية تباين بها لغة النثر ^(٤) " فهي انعكاس لخبرات الشاعر الإبداعية في ميادين القول ، وهي وعاء لاستقباله أحداث الحياة وبثه لها ، وهي الأداة التي يصل المعنى بواسطتها إلى ذهن السامع مهما تعددت طرق الأداء التعبيري ، وخرجت عن الاستخدام الحقيقي للألفاظ. ^(٥)

وقد تنوع أسلوب ابن وهبون تبعاً للأغراض الشعرية التي تناولها . ففي الرثاء

(١) مقدمة ابن خلدون ، ٢ ، ص ٢٧٤ .

(٢) الأسلوب لأحمد الشايب ، ص ٢٣ .

(٣) منهاج البلاغ ، ص ٣٦٤ .

(٤) نظرية اللغة في النقد العربي ، عبد الحكيم راضي ، ص ٢٩٥ .

(٥) نظرية الشعر عند فلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد ، ألفت محمد كمال ، ص ١٧٠ .

يقوم أسلوبه على فلسفته الخاصة في الحياة والموت لذلك تميز بالفكرة المتغلبة ؛
والمعاني الفلسفية .

وفي المدح اتسم أسلوبه بالقوة والجزالة فحين يمدح المعتمد يصفه بالهمام،
والكريم، والماجد، ومؤيد الدين .

وفي الوصف تميز أسلوبه بالركة واللين، عندما كان يصف بعض مظاهر
الطبيعة، أما في وصف الحروب فقد اتسم أسلوبه بالقوة والجزالة .

وفي الشكوى اتسم أسلوبه بالركة والعذوبة أيضاً، وكذلك كان أسلوبه في
الغزل.

كما امتاز أسلوبه عامة ببعده عن الغريب . ومن مظاهر الأسلوب لديه : كثرة
استخدامه للمشتقات ، كاسم الفاعل ، وأفعال التفضيل ، وصيغ المبالغة ، كما
نلاحظ أن هذه المشتقات تتكرر في مدائحه بخاصة وكأنها قوالب جاهزة يكيّلها
متى شاء ولمن شاء من ممدوحيه ، منها : (الضارب - الطاعن - الواهب - الخائض) ،
ومنها (ضارب ، حمال ، نهوض ، ورود) ومنها (أكرم ، أبسط ، وأوسع).

ومن الظواهر اللغوية في شعره كثرة دوران أفعال الإرادة مثل (سأرقى -
سأمضي - سأطلب).

كما يلجأ إلى استخدام كافة أساليب الطلب، والإكثار منها في شعره ، ومن
الأساليب الطلبية التي كثر مجيئها في شعره بشكل لافت أسلوب الاستفهام، ثم يليه
النداء ، فالأمر ، فالنهي .

ولعل مرد انتشار صيغ الأمر والنهي إلى وفرة الحكمة في شعره . كما أن رجاء الممدوحين يتطلب أحياناً مثل هذه الأساليب لنيل نوالهم .

نمثل لذلك بقوله :

ولولا ابن عمار وفاضل سعيه
لأصبح ربع المجد وهو خراب
وما كان يؤتي المجد من حيث يبتغى
ولا كان يدري للحوادث باب
ولا أحرقت أرض العدو صواعق
ولا مطرت أرض العفاة سحاب
وما كان هارون أصح وزارة
لموسى ، وهل دون السحاب حجاب

أما رصيده الوافر من أساليب الاستفهام فمرده إلى إحباطه، وحيرته، وقلقه، وإخفاقه في تحقيق ما كان يصبو إليه من مجد أدبي وشهرة واسعة لذلك كثر هذا الأسلوب وتعددت معانيه التي أجاد الشاعر استغلالها لخدمة أغراضه ، ويكثر استخدامه للاستفهام في غرض الرثاء، ويأتي غالباً في أبيات متتالية مثل :

ماذا على ابن الموت من إبصاره

ولقائه هل عقت الأبناء ؟

أيغرني أن يستطيل بي المدى

وأبي بحيث توأمت الغبراء

وقوله :

أفلا حمته فضائل موفورة

وجلالة تعنولها العظماء

وقوله :

أبنية نحن وأنتم شرع به

وعلى المصاب بفقده شركاء

وقوله :

أنى وسعت وأنت مضجع واحد

من هذه الأفاق منه ملاء

وكثيراً ما يستخدمه لتعظيم الممدوح كقوله :

بأي لفظٍ أحلي منك ذا شيمٍ

لولا حُلاها لكان الدهر ذا عطل

وكثيراً ما يستخدمه لتهديد الأعداء كقوله :

أتنكر العُجمُ أن العرب سادتها

وتشهد البيض والخطية السمرُ

والنداء من الأساليب التي يستخدمها ابن وهبون . وأكثر ما ترد لديه في الرثاء
مثل قوله :

ياترّبة استبقي سناه ويافلا

لا تلحقنك جريمة شنعاء

ومنها :

يازائريه تكحلوا بصعيده

كُحل البصائر تلکم البوغاء

ومنها :

ياملبس النعمى يجر ذيولها

لبست ثراك غمامة وطفاء

ومن ذلك قوله في المدح :

يا أشبه الناس آداباً بمالك من

جمال وجه تحدثني وفضل يد

وقوله :

يا صاحب المجد إن المجد سائمة

تضل إن لم يكن بالشعر تقييد

ومن الصيغ التي ترد بكثرة في شعره أدوات الشرط ومنها : لو - لولا ، وذلك للتعبير بها عن كرم الممدوح ورضاه عنه ، وغالباً ما تقترن بصيغ المبالغة .

ومن تلك الصيغ أيضاً النفي ، ويأتي بكثرة في شعر المديح ، ويستخدمه في رسم الصورة المثالية لممدوحه .

ومن مظاهر الأسلوب لديه الاقتباس والتضمين ، ومن ذلك قوله :

يكفي المؤيد في الأعداء أن له

(عيناً من الله لا تغفي من الرصد)

فالشطر الثاني اقتبسه الشاعر من قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ . (١)

وقوله :

فكايله صاع المودة صافياً

[وكل مثير بالفاء مثاب]

(١) الآية رقم (٣) من سورة آل عمران .

فالشطر الثاني مقتبس من قوله تعالى: ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾. (١)

وقوله:

كأنني واجد من عرف سؤده

[ربح القميص سرت في نفس يعقوب]

ففي الشطر الثاني يلمح الشاعر إلى قصة سيدنا يوسف مع أبيه وإخوانه .

ومن تضميناته تضمينه شطر بيتٍ للنابغة الذبياني في قوله :

لكن تحيتها قدماً وقد شهدت

[يادار مية بالعلياء فالسند]

فالشطر الثاني صدر بيت للنابغة في معلقته :

يادار مية بالعلياء فالسند

أقوت وطال عليها سالف الأبد

كذلك ضمن شطر البيت التالي :

لو أن لقمان يعطى عمرها بك لم

[يخن عليها الذي أخنى على لبد]

(١) الآية رقم (٦٠) من سورة الرحمن .

من قول النابغة أيضاً :

أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا

أخنى عليها الذي أخنى على لبد

كما ضمن بيته التالي شطر بيت لامرئ القيس :

وينشدنا إنا غريبان هاهنا

[وكل غريب للغريب نسيب]

كذلك كان يطعم شعره ببعض الأمثال كقوله :

ستسألك النساء ولا رجال

[فحدث ما وراءك ياعصام]

فالشطر الثاني مأخوذ من المثل المشهور : (ما وراءك ياعصام).

والذي ورد أول ما ورد في قول النابغة :

فإني لا ألومك في دخول

[ولكن ما وراءك ياعصام] (١)

(١) انظر : مجمع الأمثال للميداني ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .

الصورة :

التصوير الفني هو إحدى الخصائص الأصلية في كل تعبير أدبي، بل لا نغالي إذا قلنا : إنه أصل تلك الخواص، وجوهرها الثابت وأساسها المتين، وهي لذلك كانت ولا تزال لباب الفن القولي وجوهره على مر العصور في نظر كل من الأديب المبدع والناقد المقوم . فمهما يبلغ الشاعر من الجودة والبراعة في اختيار ألفاظه والملاءمة بينها وبين معانيه فإنه يشعر بأن تعبيره لا زال قاصراً فيلجأ إلى وسيلة تعبيرية أخرى، وهي رسم الصور المتخيلة التي تساعد على إبراز معالم ما يريده بوضوح تام ، ويستعين على ذلك بالخيال الذي يُعدُّ عنصراً مهماً في رسم الصورة وهو : « الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم ... من إحساسات سابقة لا حصر لها، تختزنها عقولهم وتظل كامنة في مخيلتهم، حتى يحين الوقت، فيؤلفوا منها الصورة التي يريدونها. »^(١) إنه تلك « الطاقة النفسية القادرة على استثارة صور الأشياء والموجودات الحسية وإدراكها بعد غيبتها عن متناول الحواس ».^(٢)

ولقد كان ابن وهبون يعتمد في رسم صورهِ التعبيرية على الفنون البيانية من: تشبيه ، واستعارة، وكناية ؛ وهذه الفنون البيانية « أصول كثيرة، وجل محاسن الكلام إن لم نقل كلها متفرعة عنها، وراجعة إليها، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها وأقطار تحيط بها من جهاتها . »^(٣)

(١) في النقد الأدبي ، شوقي ضيف ، ص ١٦٧ .

(٢) الصورة البيانية في التراث البلاغي ، حسن طبل ، ص ١٠ .

(٣) أسرار البلاغة للجرجاني ، تحقيق - ريتز - ص ٢٦ .

وقد استعان ابن وهبون في رسم صورته بجميع فنون البيان من تشبيه ، واستعارة ، وكناية .

ومن صورته البديعة حقا قوله :

نفسى وجسمى إن وصفتهما معاً

آل يذوب وصخرة خلقاء

فقد تضمن هذا البيت صورتين تشبيهيتين هما : تشبيه النفس بالسراب الذائب ثم تشبيه الجسم بالصخرة الصماء . ثم حلّى هاتين الصورتين بالتطابق بين الآل وبين الصخرة ، وبين الذوبان والجمود المستفاد من « الصماء » كما تضمن البيت : اللَّف والنشر المرتب حيث ذكر النفس والجسم ثم وصف كلاهما على الترتيب .

« آل يذوب » و« صخرة صماء » ، والتشبيه في الصورتين تشبيه بليغ وبديع .

وفي قوله :

ولما رأيت الزور في الناس فاشياً

تخيل لي أن الشباب خضاب

نراه يشبه الشباب بالخضاب في اللون البراق وهي صورة تشبيهية شبه فيها المعقول بالمحسوس واستعان بأداة التوكيد « أن » ليعلن عن رسوخ ذلك التخيل .

أما قوله في مدح المعتمد :

كأنك من طبع الحياة مركب

فأنت إلى كل النفوس حبيب

فهذه صورة تشبيهية يسوّى الشاعر بين الممدوح وبين الحياة ؛ فالحياة هي الممدوح والممدوح هو الحياة ، واستعان على تقرير هذه الصورة بحب الناس للمدوح فهم ما أحبوه إلا لأنهم رأوا فيه الحياة التي يعيشونها وجاء الشطر الثاني من البيت « فأنت إلى كل القلوب حبيب » مؤازراً لرؤية الشاعر ، ودليلاً على صدق تصويره للمدوح الذي تجمعت فيه معاني الحياة الطيبة .

وفي قوله حين مدح ابن عمار :

فلفظته يوم المهابة خطبة

ولحظته يوم اللقاء ضراب

نرى الشاعر في هاتين الصورتين يجسم مزايا كلام الممدوح؛ فاللفظة الواحدة منه خطبة في ثراء معانيها، وهو تشبيه بليغ حذف منه الوجه والأداة وهي وسيلة تعبيرية تمزج بين المشبه والمشبه به فكأنهما شيء واحد ، وإذا كانت لفظته الواحدة خطبة فإن نظرتة تجاه عدوه تعمل عمل السيف والرمح ، لما له من مهابة وقوة بطش وشجاعة قلب .

وفي قوله في مدح ابن عمار أيضاً :

له سنة في الجد والهزل مثلما

تدار كـؤوس أو تدق حـراب

نجد الشاعر يصف ممدوحه مستخدماً وسيلة التشبيه، فيصف الممدوح بالمضاء وقوة العزيمة في جده وهزله، وعظمة تأثيره مثلما تفعل الكؤوس بشاربيها ومثلما تفعل الحراب في المطعون بها، وقد حلّى هذه الصورة بالتطابق بين «الجد والهزل» ومقصود الشاعر أن الممدوح في كل أحواله نافذ البصيرة لا يخيب له قصد.

ومن ذلك قوله في مدح ابن عمار أيضاً :

رقيق كما غنت حمامة أيكـة

وجزل كما شق الهواء عقاب

فقد جمع له بين هذه الصفات وبين الرقة والعدوية في لحظات الصفاء، فصوته هديل حمام الأيك وشدة تأثيره في مجالسية تسري كما يسري العقاب في الهواء خفةً ونشاطاً .

وقوله :

لوتعلم الأجيال كيف مآلها

علمي لما امتسكت لها أرجاء

فقد جمع الشاعر في هذا البيت بين صورتين إحداهما :

تشبيهية : لو تعلم علمي ، وهو تشبيه بليغ وتصدير هذه الصورة بـ « لو »
يفيد أن المشبه وهو « علم الأجيال » ليس كعلم الشاعر ، فهم لا هون غافلون أما هو
فعلى بصيرة بالمصير المحتوم الذي يرتقب الأجيال .

أما الصورة الثانية فهي « كناية » مؤداها أن الأجيال لو أدركت حقيقة ما
ينتظرها لانهارت قواها ، وهي كناية عن صفة ، وقد أجاد الشاعر في الربط بين
الصورتين .

وقوله :

شهبوا سلاح الدمع خلف سريره

إذ لم يكن للباترات غناء

ففي هذا البيت نجد معنى بديعاً استعان على تصويره بتركيب خيالي أنيق
عمدته الإستعارة المكنية حيث شبه الدمع بالسلاح ثم أقام إحدى خواص المشبه به
مقامه وهي « شهبوا » ورشح هذه الإستعارة بقوله « للباترات غناء » فالباترات لا ترد
موتاً فهي في هذا المقام « معطلة » ولكن ذرف الدمع ، وهو حيلة العاجز كان هو
العزاء لهم وهم يشيعونه إلى مثواه الأخير ومن جمال عناصر التصوير الخيالي الفني
- هنا - ذلك الرمز « خلف سريره » الموحى بأن الممدوح كان إماماً لهم في الحياة ،
وهو الآن - حال الموت - إماماً لهم كذلك فهم يسرون خلفه لا أمامه .

أما قوله :

ستظأره أم النجوم تحله

لها كوكب لآحان منه غروب

فهذه صورة وضاءة تجمع بين الشمس «أم النجوم» وبين الممدوح ، فهو الكوكب الذي لا يغيب حياً أو ميتاً .

كما قال شاعر آخر :

فتى عيش في معروفه بعد موته

كما كان بعد السيل مرعاه مرتعاً

وهذه الصورة «الكلية» تخللتها صورة «جزئية» مشرقة وهي «أم النجوم» أي الشمس لأنها تمد النجوم بالإشراق كما تمد الأم أبنائها بأسباب الحياة .

وفي قوله :

ليخضب منها اليوم والأفق أشيب

وينصل ثوب الليل وهو هضيب

نلمح في هذا البيت صورتان إتخذ الشاعر من الاستعارة المكنية وسيلة للتعبير عنهما حيث شبه اليوم والليل برجلين ودلّ على الأولى بـ «أشيب» وهو من خواص المشبه به المحذوف ، ودلّ على الثاني بإضافة ثوب إليه في قوله : «ثوب الليل» وفي هاتين الصورتين أبرز المعقول في صورة المحسوس أما قوله : «خضيب»

و«ليخضب» فهما ترشيحان للإستعارتين ، لأن الخضاب من ملائمتات المشبه به ، ووظيفة الترشيح تأصيل الصورة الخيالية التي تصورها الشاعر ، وهكذا نراه يستعين بالوسائل التعبيرية على إبراز معالم معانية وتجليتها في مهارة وحذق .

أما قوله :

فكايله صاع المودةً وافياً

وكلُّ مثيب بالوفاء مثاب

فمع جمال الصورة الخيالية فيه فإن كلمة «صاع» ليست كلمة «شعرية» ففيها نبو عن المقام ، ومثلها كلمة «كايل» وإن ناسبت «صاع» فهاتان الكلمتان تأباهما رقة الشعر، وتجافيان مافي الخيال من إشعاع ووميض، والشاعر يريد أن يقول : إن جزاءه كان من جنس عمله، وهذه عبارة مبتذلة وكان في استطاعته أن يخرجها إخراجاً يليق بفن الشعر .

أما الشطر الثاني « وكلُّ مثيب بالوفاء مثابٌ » فجار مجرى المثل السائر، وفيه تأكيد للمعنى الأول وهو «فكايله» كناية عن صفة ، وهي : حسن الجزاء على حسن العمل .

أما في هذا البيت :

ولم يحملك طرفك بل فؤاد

تعود أن يخاض به الحمام

فقد تمازجت صورة المجاز العقلي في موطين : « ولم يحملك طرفك » حيث أسند الحمل إلى « الطرف » وهو سبب الحمل لا فاعله . ثم عاد فأسنده أي « الحمل » إلى « الفؤاد » وهو سبب أيضاً للحمل لا فاعل .

وهاتان الصورتان ولد منهما الشاعر صورة أخرى كناية حيث شبه الفؤاد بالسيف ثم حذف المشبه به على سبيل الإستعارة بالكناية ، ودل على المشبه به المحذوف بـ « يخاض به الحمام » وقد تضمنت هذه « الإستعارة » كناية لطيفة عن قوة قلب الممدوح ورباطة جأشه .

هذه ألوان من الصور الفنية في شعر ابن وهبون أومأنا إلى بعضها ، وشعره حافل بتلك الصور التي منها البديع الأخاذ ، ومنها المبتذل ، ومنها المتوسط الجودة ، ومن الإنصاف أن نقول : إن ابن وهبون شاعر مجيد ، استطاع أن يوظف إمكانات اللغة ، والأساليب البلاغية في الإفصاح عن معانيه ، واستجلاء أخيلته ، ونفث سحره ، وتصوير عواطفه وينبغي أن يأخذ مكانه بين الشعراء المشهود لهم بالشاعرية ورهافة الحس وامتلاك البيان .

الموسيقى :

الشعر والموسيقى فنان من الفنون الأدبية ، ولكل منهما صلة بالآخر ، وللشعر خصائص موسيقية تأتيه من أوزانه وقوافيه التي تحدث نوعاً من الوحدة الموسيقية في القصيدة ، كما تأتيه من الألوان البديعية كالجناس ، والتقسيم ، والتصريع وغيرها من ألوان البديع ، وإلى جانب هذه الموسيقى الخارجية أو الظاهرة ، توجد موسيقى داخلية أو خفية ، « تنبع من اختيار الشاعر لألفاظه ، وما بينهما من تلاؤم في الحروف والحركات وكأن للشاعر آذاناً داخلية وراء أذنه الظاهرة تسمع كل شكلة وكل حرف وحركة بوضوح تام ، وبهذه الموسيقى الداخلية يتفاضل الشعراء » (١) .

ودرستنا للخصائص الموسيقية في شعر ابن وهبون تتمثل في إبراز مظاهر موسيقاه من خلال دراستنا للوزن والقافية في شعره .

أ) الوزن :

الوزن ركن هام من الأركان التي يقوم عليها الشعر ، فقد حدد قدامة الشعر بأنه : « قولٌ موزونٌ مقفى يدل على معنى » (٢) وإلى مثل هذا ذهب ابن رشيق في تحديده للشعر فهو يقوم عنده على أربعة أشياء : اللفظ ، والوزن ، والمعنى ، والقافية (٣) ثم يخص ابن رشيق الوزن بالحديث فيقول : « والوزن أعظم أركان حد الشعر ، وأولاها به خصوصية » (٤) .

(١) في النقد الأدبي شوقي ضيف ، ص ٩٧ .

(٢) نقد الشعر لقدامة ابن جعفر ، تحقيق ، كمال مصطفى ، ط ٣ ، ١٩٧٨ م ، ص ١٧ .

(٣) العمدة لابن رشيق ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(٤) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٣ .

وقد حاكى ابن وهبون أسلافه من الشعراء ونهج في أوزانه نهج القصيدة العربية منذ الجاهلية، ونظم شعره على معظم بحور الخليل، مع التفاوت فيما بينها، وفيما يلي، واستناداً إلى ما جمعه من شعره، جدولاً إحصائياً بالأوزان التي نظم فيها، وعدد القصائد التي نظمها في كل بحر، وعدد الأبيات التي اشتملت عليها قصائده في كل بحر.

البحر	عدد القصائد	عدد الأبيات	النسبة المئوية
البسيط	١٢	١٥٩	٣٤,٧٠
الوافر	٨	١٠٧	٢٣,٣٦
الطويل	١١	٩٢	٢٠,٠٨
الكامل	٧	٧٥	١٦,٣٧
المنسرح	٤	١٢	٢,٦٢
الخفيف	٢	٤	٠,٨٧٣
السريع	٢	٤	٠,٨٧٣
المتقارب	٢	٤	٠,٨٧٣
الرمل	١	١	٠,٢١٨

يبين لنا الجدول السابق أن الشاعر قد نظم أكثر شعره في البحر البسيط، فقد نظم فيه أكثر من ثلث شعره، ثم يليه الوافر، فالطويل، والكامل، وقد ظلت هذه البحور الأربعة - مضافاً إليها بحر الخفيف - موفورة الحظ في كل العصور، يطرقها كل الشعراء، ويكثرون النظم فيها، وتألفها آذان الناس في بيئة اللغة العربية. (١)

(١) موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص ٢١٠.

كما نظم بقية شعره في البحور التالية: المنسرح، والرمل، والمتقارب، والسريع، ويمكن - مع قليل من التسامح - أن تعد من الأوزان المألوفة التي كانت الأذان تستريح إليها. (١)

أما البحور المجزوءة فلا يوجد في شعر ابن وهبون الذي تحت أيدينا شيء منها . أما ملاءمة أوزانه لعاطفته فيصعب علينا تحديد ذلك، إذ أن الصلة بين العاطفة والوزن، أو بين الوزن والموضوع هي من قبيل الملاحظات الجزئية، وليست قاعدة عامة (٢). والملاحظ على شعر ابن وهبون إثارته للأوزان ذات المقاطع الكثيرة مما يدل على طول نفسه في قصائده . لذلك جاء شعره المادح في قصائد طويلة نسبياً.

بـ القافية :

القافية ركن آخر من الأركان التي يقوم عليها الشعر، كما رأينا ذلك في حديث قدامة عن حد الشعر . وقد اقترن وجود القافية بوجود الوزن في الشعر العربي القديم . فالقافية «شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية» (٣).

وتضيف القافية لوناً من الموسيقى الظاهرة إلى القصيدة : فهي القرار الذي ينتهي إليه كل بيت فتحدث مع الوزن وحدة موسيقية في القصيدة، وأكثر حروف الروي دوراناً فيما بين أيدينا من شعر ابن وهبون الأحرف التالية مرتبة على الترتيب التنازلي : الباء، واللام،

(١) المصدر السابق ، ص ٢١١.

(٢) وقد شغلت هذه التساؤلات عدداً من الباحثين المعاصرين، وأفردوا لها كتاباً خاصة، ولكننا لم نحصل منهم على إجابة محددة .

(٣) العمدة ، ج ١ ، ص ١٥١ .

والدال، والهمزة، والراء، والميم، فالقاف، فالحاء، فالثاء، وأقلها التاء، والذال، والنون،
والهاء، والعين، والفاء .

أما نسبة شيوع هذا الأحرف ودورانها في شعره فيوضحها الجدول التالي :

الحرف	عدد القطع	عدد الأبيات	النسبة المئوية
الباء	١٢	١١٨	٢٥,٧٦٤
اللام	٧	٩٧	٢١,١٧٩
الدال	٦	٦٨	١٤,٨٤٧
الهمزة	٢	٥١	١١,١٣٥
الراء	٨	٤٤	٩,٠٦٩
الميم	١	٤٠	٨,٧٣٣
القاف	٣	١٥	٣,٣٧٥
الحاء	٣	١٠	٢,١٨٣
الثاء	١	٦	١,٣١٠
التاء	١	٢	٠,٤٣٦
الذال	١	٢	٠,٤٣٦
النون	١	٢	٠,٤٣٦
الهاء	١	٢	٠,٤٣٦
العين	١	١	٠,٢١٨
الفاء	١	١	٠,٢١٨

ومن خلال الإحصائية السابقة نلاحظ أن ابن وهبون قد نهج في قوافيه نهج الشعر العربي القديم ، حيث استخدم لروي قوافيه مختلف الحروف التي كثر دورانها وشيوعها في الشعر العربي .

كما جاءت قوافيه جميعها مطلقة ماعدا ثلاث قواف جاءت مقيدة وهي : قافية المقطوعة رقم (٣) والمقطوعة رقم (٢٧) والمقطوعة رقم (٤٠) من المجموع . وهذا ما جرى عليه معظم الشعراء القدامى في إطلاق قوافيهم ، دون تقييدها إلا في القليل النادر، وقد أشار أحمد الشايب إلى ذلك قائلاً : «هناك حروف تصلح للروي فتكون جميلة الجرس، لذيذة النغم ، سهلة المتناول، وبخاصة إذا كانت مطلقة، ومن ذلك الهمزة، والباء، والذال، والراء، والعين، واللام، بخلاف نحو التاء، والشاء، والذال، والشين، والضاد، والغين فإنها ثقيلة غريبة الكلمات».(١)

ومن مظاهر الموسيقى في شعر ابن وهبون : التصريع : وهو كما يقول قدامة ابن جعفر «... أن يقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها، فإن الفحول المجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك ولا يكادون يعدلون عنه وربما صرعوا أبياتاً أخرى من القصيدة بعد البيت الأول، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحر» .(٢)

ومن الأمثلة التي التي عمد فيها الشاعر إلى التصريع في البيت الأول من القصيدة قوله في مطلع قصيدته التي أبّن فيها أستاذه الأعلم الشنتمري :

سبق الفنّاء فما يدوم بقّاء

تفنى النجوم وتسقط البيضاء

(١) أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، ص ٣٢٥-٣٢٦

(٢) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ص ٥١ .

وكذلك مطلع قصيدته التالي :

أربع الندى تهمني به وتصوب

ومغنى العـلا نأوي له ونشوب

كما التزم التصريح في مطالع قصائد أخرى. (١)

(١) انظر مطالع القصائد التالية حسب أرقامها في المجموع : مطلع القصيدة رقم (١٤) و(٢٢) و(٢٣) و(٢٩) و(٤١) و(٤٢) و(٤٣) و(٤٧).

ونختم هذا الباب المتعلق بدراسة موضوعات شعر ابن وهبون وخصائصه الفنية باستعراض أقوال النقاد قداماء ، ومحدثين ، في شعره ليتجلى لنا قيمة هذا النتاج الشعري لابن وهبون وما كان يظفر به من إعجاب هؤلاء النقاد وتقديرهم .

فقد كانت لشاعرنا مكانة كبيرة في الأدب الأندلسي في القرن الخامس الهجري ، وقد أشاد به مؤرخو الأدب في ذلك العصر كما أشاد به العديد من النقاد المحدثين وفيما يلي سنعرض لبعض هذه الآراء :

أولاً : أقوال النقاد القداماء :

يقول عنه ابن بسام : " شمس الزمان بدره ، وسر الإحسان وجهه ، ومستودع البيان ومستقره ، آخر من أفرغ في وقتنا فنون المقال ... في قوالب السحر الحلال ، وقيد شوارد الألباب ، بأرق من ملح العتاب ، وأروق من غفلات الشباب .. " (١) .

ومما يدل على شدة إعجاب ابن بسام به أنه أفرد له كتاباً جمع فيه أشعاره ، وتحدث فيه عن أخباره ، ووسمه به " كتاب الإكليل المشتمل على شعر عبد الجليل " إلا أن هذا الكتاب مع الأسف قد ضاع في جملة ما ضاع من تراث العرب في الأندلس .

ويقول عنه ابن خاقان :

" أحد الفحول البريء من المطروق والمنحول ، تفتحت كمائم رويته عن زهر المعاني وأبدت قصائده غرض المداري لها المعاني ، فما يبين في معناه انحلال معاقد ، ولاتلين قناته لغمز ناقد ، مع أدب منساب ، تفرع من دوحتي روية واكتساب " (٢) .

(١) الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ . ص ٤٧٣ - ٤٧٤ .

(٢) القلائد ، ط خربوش ، ج ٤ ص ٧٦٨ .

ويقول عنه ابن دحية الكلبي:

" ومن شعراء جزيرة الأندلس وفحولها ، البريء من مطروق الأشعار ومنحولها ، ذو الآداب والفنون : أبو محمد عبد الجليل بن وهبون " (١).

ويقول عنه : المراكشي :

" كان حسن الشعر ، لطيف المأخذ ، حسن التوصل إلى دقيق المعاني " (٢).

ثانياً : أقوال النقاد المحدثين :

وقد أشاد بابن وهبون أيضاً بعض النقاد المحدثين :

يقول عنه الدكتور أحمد ضيف :

" ... مزج بين الجد والهزل في شعره ، فتراه تارة خليعاً ماجناً ، حلو الكلام عذب العبارة منغمساً في ملاذّه ومسرّاته ، انغماس الرجل الذي تسيره أهواؤه ، وكأنه لا ينظر إلى الدنيا وما فيها غير نظر الماجنين. فإذا أتعبتك خفة روحه ، وأفعمت نفسك سروراً من خلاعته ومجونته ، ونظرت نظرة أخرى إلى شعره ، رأيت ينابيع الحكمة تتفجر من غصونه ، وظننت أنك تقرأ في كتاب حكمة وفلسفة لا في ديوان شعر وخيال ... " (٣).

وفي موقفه أخريقول :

" فقد عهدنا الأندلسيين برعوا في نوع جميل من الخيال ورقة الأسلوب وجزالة

(١) المطرب ، ص ١١٨ .

(٢) المعجب ، ص ١٥٩ .

(٣) بلاغة العرب في الأندلس ، أحمد ضيف ، ص ١٢٢ .

اللفظ ، والأوصاف التي دعتهم إليها آثار تلك المدنية الحديثة ولم يعهد لها شعراء العرب . أما ابن وهبون فقد برع في نوع آخر وهو الشعر الفلسفي على أنه لم يقصر في ذلك النوع ولم يتأخر عن السبق في هذا الميدان ميدان الخيال حتى رموه بالمجون أكثر من غيره ، وقالوا إن ذلك خطأ من شأنه ولكنه رغم ذلك من الشعراء المفكرين . وفي الحق أن ذلك لم يكن ناشئاً من تربية فكرية أو اطلاع واسع على علوم الدين والفلسفة ، ولكنه كان ذكياً مفكراً ، وشاعراً صافي القريحة ، قادراً على نظم المعاني نظماً شعرياً . ولا بد أن يكون قرأ كثيراً من شعر المتنبي وأبي العلاء فأخذ يعارضهم في أساليبهم ، أو يجاريهم فيما كانوا ينظمون من المعاني والموضوعات ، مع بلاغة عبارته ... " (١) .

ويرى الدكتور عمرو فروخ :

أن " ابن وهبون من فطاحل الشعراء أهل الأدب ، متين السبك يجيد القصائد والمقطعات ، ويطبع أحياناً شعره على غرار شعر المشاركة ، وربما نزع إلى ألوان البيئة الأندلسية ... " (٢) .

ويقول عنه المستشرق الإسباني أنخل جنتالت بالنثيا :

" كان ابن وهبون من فطاحل الشعراء وأهل الأدب ... " (٣) .

أما غرثيا غومس فيقول عنه :

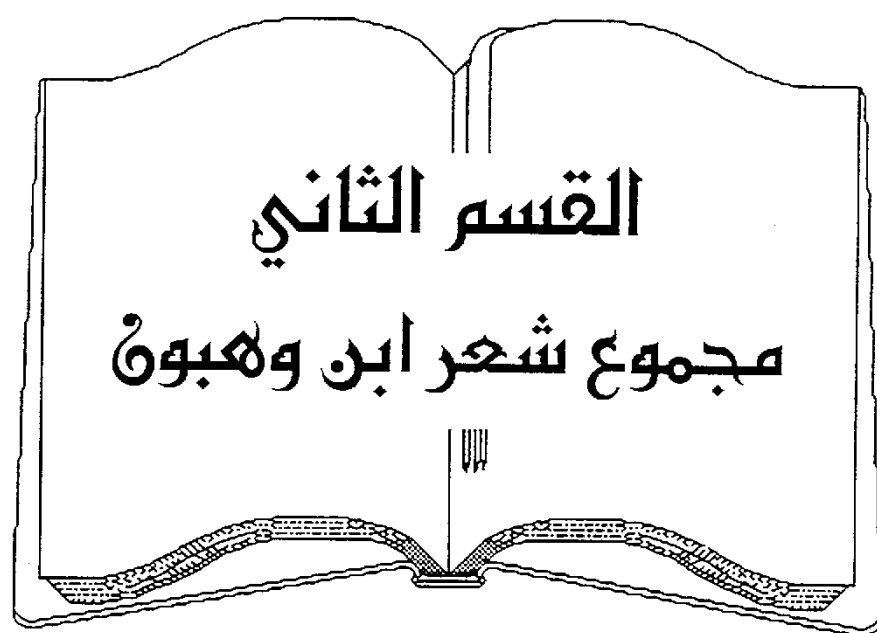
" ومن نابهي شعراء العصر كذلك أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى ، وكان شاعر بلاط مصقولاً متحرراً من الأوضاع ... " (٤) .

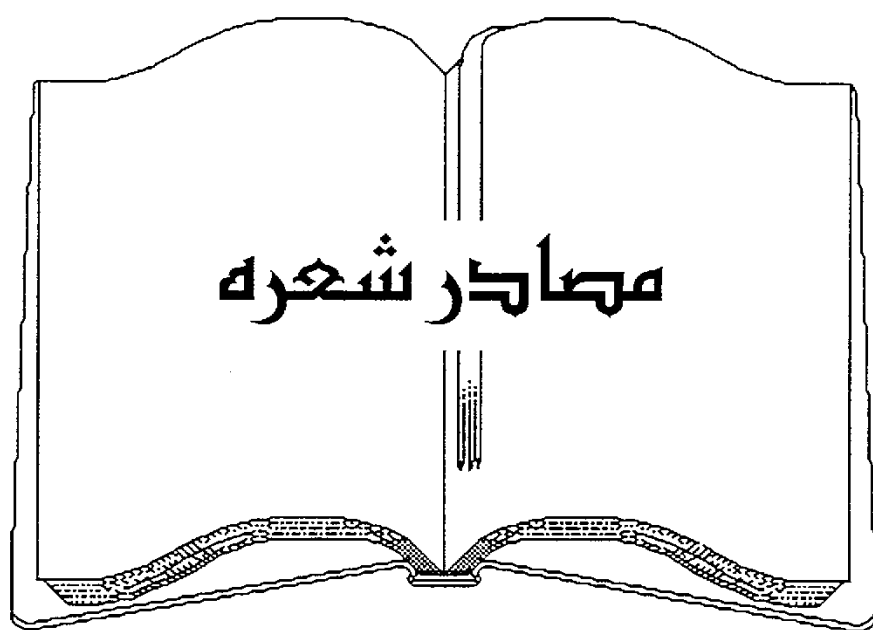
(١) السابق ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ، د. عمر فروخ ، ج ٤ ، ص ٦٦٤ .

(٣) تاريخ الفكر الأندلسي بالنثيا ، ترجمة د. حسين مؤنس ، ص ١١٦ .

(٤) الشعر الأندلسي ، غرثيا غومس ، ترجمة د. حسين مؤنس ، ص ٥١ .





مصادر شعر عبد الجليل بن وهبون متنوعة، بلغت في إحصائها العام قريباً من أربعين مصدراً، فيها كتب الأدب، ومجموعات الشعر، وكتب التراجم، وكتب التاريخ، والمعاجم الجغرافية.

وقد بلغ عدد الأبيات التي استطعت جمعها واحداً وستين وأربعمئة بيت، مع أنّ الغالب على الظن أنّ لابن وهبون شعراً أكثر ممّا استطعت جمعه لم تصل إلينا مصادره، إذ يذكر ابن بسام أنّه جمع شعر عبد الجليل بن وهبون ورتبه على حروف المعجم في كتاب سماه «الإكليل المشتمل على شعر عبد الجليل»، يقول عند ترجمته للشاعر في كتابه «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة»: (وقد أثبت هنا من شعر عبد الجليل في مدحه الفائقة، وأوصافه الرائقة، ما يشهد أنّه سابق الحلبة، وصدر الرتبة، وضاق ذرع هذا المجموع عن تضمين ماله من البديع، فجمعت شعره على حروف المعجم في تصنيف ترجمته به «كتاب الإكليل المشتمل على شعر عبد الجليل»^(١).

ولكن مع الأسف - لم أعثر علي هذا الكتاب الثمين، ولم أجد له ذكراً في المصادر التي ترجمت للشاعر، أو تحدثت عن أخباره وأشعاره سوى هذه الإشارة في كتاب «ابن بسام» المذكور.

وقد تنوعت مصادر شعر ابن وهبون إلى نوعين :

النوع الأول : مصادر تُعدُّ في المرتبة الأولى من حيث الوثوق والاعتماد، وأكثرها اهتماماً وتسجيلاً لشعر ابن وهبون، ويشمل هذا النوع الكتب التالية :

«الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام، ويُعدُّ هذا المصدر من أهم

المصادر التي حفظت لنا شعر ابن وهبون ، فقد ساق فيه ابن بسام قصائد كاملة بلغ مجموع أبياتها : سبعين وثلاثمائة بيت، يليه كتاب «قلائد العقيان» لابن خاقان ، فقد روى له واحداً وأربعين بيتاً، ثم كتاب «خريدة القصر» للعماد الأصفهاني ، فقد روى فيه العماد - لابن وهبون - تسعة وعشرين بيتاً، وقد تفرد ابن شاعر الكتبي في كتابه «فوات الوفيات» برواية خمسة أبيات لم ترد في غيره من المصادر، كذلك انفرد الحميري في «الروض المعطار» برواية أربعة أبيات لم ترد في غيره من المصادر، كما انفرد ابن ظافر الأزدي في كتابه «غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات» برواية بيتين لم ترد في غيره من المصادر ، كما انفرد الصفدي في كتابه «الغيث المسجم في شرح لامية العجم» برواية بيت وشطر بيت لم يرد في غيره من المصادر ، أما ابن الصيرفي فقد روى لابن وهبون بيتين في كتابه «المختار من شعر شعراء الأندلس» - حيث ورد به بيت واحد - ، وكتابه «الأفضليات» وورد به أيضاً بيت واحد، كما روى له ابن ظافر الأزدي في كتابه «بدائع البدائة» بيتين ، نقلهما المقرئ في النفع^(١)، كذلك روى له المراكشي في «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» بيتين ، نقلهما المقرئ في النفع أيضاً^(٢)، وانفرد ابن فضل الله العمري في «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» برواية بيت لم يرد في غيره من المصادر، وتعد هذه المصادر من أهم المصادر التي حفظت لنا شعر عبدالجليل ابن وهبون ، إذ كان بعض مؤلفيها معاصراً للشاعر ، أو قريباً من العصر الذي يلي وفاة الشاعر كابن بسام ، وابن خاقان ، وابن الصيرفي ، والعماد الأصفهاني .

وهذا القرب الزمني يجعلنا نطمئن إلى ما ترويه فضلاً عن كونها من أهم مصادر الأدب الأندلسي بعامة ولاسيما عصر ملوك الطوائف .

(١) نفع الطيب للمقرئ ، ح ٤ ، ص ٢٦٠ .

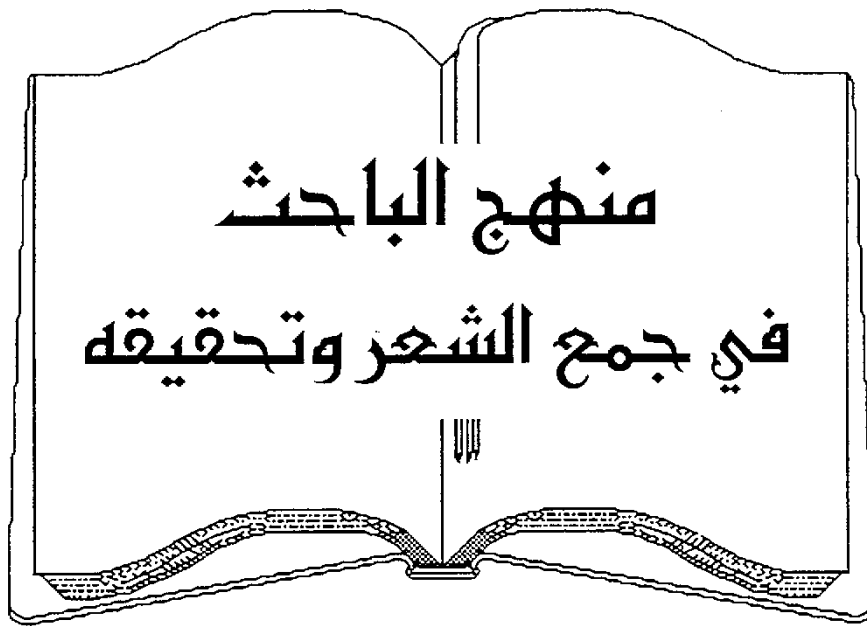
(٢) المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ٢٣٥ .

النوع الثاني : مصادر تعد في المرتبة الثانية وهي الكتب التالية ^(١) :

بغية الملتمس للضبي (ت ٥٩٩هـ)، شرح المقامات للشريشي (ت ٦١٩هـ)،
والمطرب في أشعار أهل المغرب لابن دحية الكلبي (ت ٦٣٣هـ)، والحلة السراء
لابن الأبار (ت ٦٥٨هـ)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، والمغرب في حلى
المغرب، ورايات المبرزين في غايات المميزين، والمرقصات والمطربات لابن سعيد
المغربي (ت ٦٨٥هـ)، ومخطوطة مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله
العمري (ت ٧٤٩هـ)، والوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، وإعمال
الإعلام للسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، ومخطوطة عقود الجمان وتذييل وفيات
الأعيان لبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، ومخطوطة الأسكوريال رقم ٤٨٨، ونفح
الطيب للمقري (ت ١٤٠١هـ) .

وهذه الكتب لم تضاف جديداً إلى شعر عبد الجليل بن وهبون ، بل كانت تنقل عن
المصادر السابقة، وقد أفدنا منها في التوثيق وترجيح الروايات، ونلاحظ على هذه
المصادر أنها أُلِّفَتْ فيما بينها سلسلة متصلة الحلقات، ينقل فيها الخلف عن السلف
أبياتاً وشواهد بعينها تساق في المناسبات نفسها، وترفق بالتعليقات ذاتها.

(١) سأذكرها مرتبة ترتيباً تاريخياً استناداً إلى وفاة المؤلف .



لقد اعتمدت في جمع شعر ابن وهبون وتحقيقه علي النظر في أهم المسائل المتصلة بهذين الجانبين وعلى معالجتها جميعاً في المتن والحاشية على النحو التالي :

أ- المتن وفيه :

- ١- تصنيف القصائد حسب القوافي تصنيفاً ألف بائياً معتمداً حركة الروي (الساكن - فالمفتوح - فالمضموم - فالمكسور).
- ٢- ترقيم القصائد أو المقطوعات .
- ٣- ترقيم الأبيات داخل القصيدة .
- ٤- نسبة القصائد إلى البحور التي تنتمي إليها ، ويكون ذلك في رأس الصفحة على اليسار .
- ٥- ضبط الأبيات بقدر الحاجة إلى ذلك .
- ٦- الاجتهاد في اختيار الأدق والأصح من الألفاظ إن اختلفت الروايات في البيت الواحد معتمداً على أمور منها :
- قدم الرواية ، ملاءمتها للسياق والمعنى في القصيدة ، مع دلالة ما صح لدي من أخبار الشاعر وملابس حياته .
- ٧- اعتماد المصادر التي عاصرت الشاعر ، أو القريبة جداً من عصره ، وما عدا ذلك من المصادر يوثق منه فقط - نظراً لبعدها عن عصره ، أو لأنها نقلت عن المصادر التي عاصرتة - إلا إذا وجد مصدر نقل عن مصدر مفقود كان معاصراً للشاعر ، وثبت ذلك في الحاشية عند الإشارة لفروق الروايات .
- ٨- ضم الأبيات المتفرقة إلى القصيدة الأم إذا رجع لدينا أنها كانت قصيدة واحدة

عمل الزمن على تقطيع أوصالها، وتشتيتها أشلاء متناثرة في بطون الكتب ، مثل قصيدة الزلاقة .

٩- التخريج ، ويكون في نهاية كل مقطوعة، حيث تخرج كل مقطوعة على حدة، ويكون التخريج من جميع المصادر التي وردت بها القطعة مبتدأ بالمصدر الذي اعتمدته في المتن ثم بقية المصادر التي وردت بها المقطوعة أو القصيدة مرتبة ترتيباً تاريخياً باعتبار سنة الوفاة للمؤلف .

وإن وردت القصيدة في مصدر واحد أنص على أن القصيدة بتمامها في مصدر كذا.

١٠- ذكر المناسبة التي قيلت فيها القصيدة، ويكون تحت التخريج مباشرة .

ب - الحاشية وفيها :

١- إثبات فروق الروايات وتوثيقها من المصادر التي استطعت الرجوع إليها وإن كانت متأخرة .

٢- الشرح اللغوي .

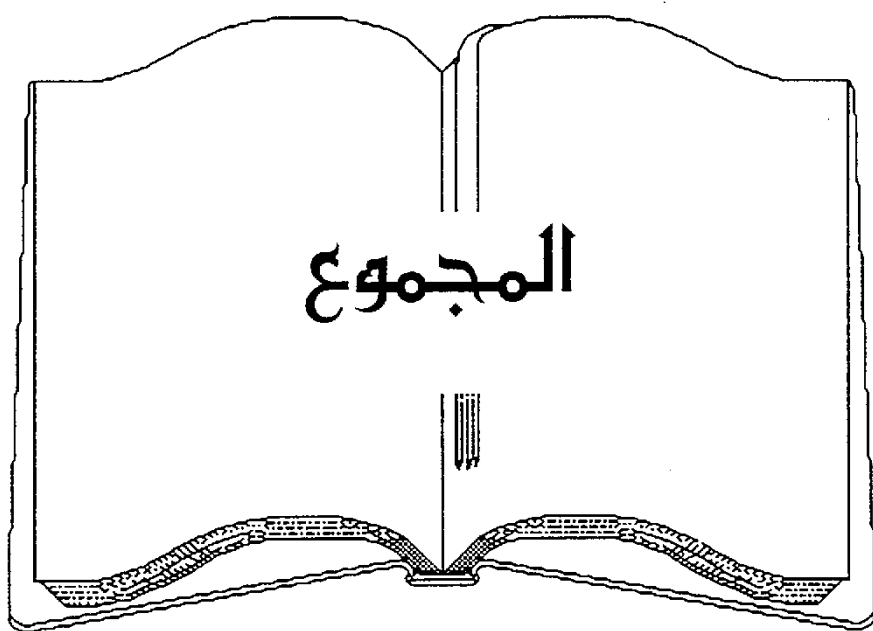
٣- تعريف موجز بالأعلام الواردة في الشعر .

٤- تعريف موجز بالأماكن والبلدان الواردة في الشعر .

٥- تعريف موجز بالوقائع والأحداث الواردة في الشعر .

٦- تخريج الأمثال الواردة في الشعر .

٧- الإشارة إلى اختلاف ترتيب الأبيات في المصادر .





﴿١﴾

﴿الكامل﴾

قال يرثي أبا الحجاج المعروف بالأعلم^(١):

(١) سَبَقَ الْفَنَاءُ فَمَا يَدُومُ بَقَاءُ

تَفَنَّى النُّجُومُ وَتَسْقُطُ الْبَيَاضُ^(٢)

يقول فيها:

(٢) نَفْسِي وَحَسِّي إِنْ وَصَفْتُهُمَا مَعًا

آلٌ يَذُوبُ وَصَخْرَةٌ خَلَقَاءُ^(٣)

(٣) لَوْ تَعَلَّمُ الْأَجْبَالُ كَيْفَ مَالِهَا

عَلِمِي لَمَا امْتَسَكَتْ لَهَا أَرْجَاءُ

(٤) إِنَّا لَنَعْلَمُ مَا يُرَادُ بِنَا فَلَمْ

تَعْيَا الْقُلُوبُ ، وَتَغْلِبُ الْأَهْوَاءُ ؟

(٥) طَيْفُ الْمَنَايَا فِي أَسَالِيبِ الْمُنَى

وَعَلَى طَرِيقِ الصَّحَةِ الْأَدْوَاءُ^(٤)

(٦) بَتَعَاقِبِ الْأَضْدَادِ مِمَّا قَدْ تَرَى

جُلِبَتْ عَلَيْكَ الْحِكْمَةُ الشَّنْعَاءُ^(٥)

(٧) مَاذَا عَلَى ابْنِ الْمَوْتِ مِنْ إِبْصَارِهِ

وَلِقَائِهِ هَلْ عَقَّتِ الْإِبْنَاءُ ؟

(١) مضت ترجمته ، ص (١٩) من هذا البحث .

(٢) البيضاء : الشمس ليابضا .

(٣) خلقاء : ملساء مصمته .

(٤) الأدوية : جمع للداء وهو المرض .

(٥) الشنعاء : القبيحة المفرطة .

(٨) أَيُغَرِّنِي أَنْ يَسْتَطِيلَ بِي الْمَدَى

وَأَبِي بِحَيْثُ تَوَاصَتِ الْغَبْرَاءُ^(١)

(٩) لِمَ يَنْكَرُ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ ثَابِتٌ

فِي طَبْعِهِ لَوْ صَحَّتِ الْآرَاءُ

(١٠) وَنَظِيرُ مَوْتِ الْمَرْءِ بَعْدَ حَيَاتِهِ

أَنْ تَسْتَوِيَ مِنْ جِنْسِهِ الْأَعْضَاءُ

(١١) دَنَفٌ يُبَكِّي لِلصَّحِيحِ وَإِنَّمَا

أَمْوَاتُنَا لَوْ تَشَعَّرَ الْأَحْيَاءُ^(٢)

(١٢) وَسَوَاءٌ أَنْ تُجَلَى اللَّحَاطُ مِنَ الْقَذَى

أَوْ تُنْتَضَى مِنْ شَخْصِهَا الْحَوْبَاءُ^(٣)

(١٣) مَا النَّفْسُ إِلَّا شُعْلَةٌ سَقَطَتْ إِلَى

حَيْثُ اسْتَقَلَّ بِهَا الثَّرَى وَالْمَاءُ

(١٤) حَتَّى إِذَا خَلَصَتْ تَعُودُ كَمَا بَدَتْ

وَمِنْ الْخَلَاصِ مَشَقَّةٌ وَعَنَاءُ

وفيهما يقول :

(١٥) كَذَبَتْ حَيَاةُ الْمَرْءِ عِنْدَ وُجُودِهَا

وُجِدَ الْحِمَامُ وَمِنْهُ كَانَ الدَّاءُ^(٤)

(١) الغبراء : الأرض .

(٢) دنف : براه المرض حتى أشفى على الموت .

(٣) الحوباء : النفس .

(٤) الحمام : الموت .

(١٦) اللَّهُ أَيُّ غَنِيمَةٍ غَنِمَ الرَّدَى

وَمِنَ الْفَجَائِعِ غَارَةٌ شَعَوَاءُ^(١)

(١٧) مَنْ كَانَ غُرَّةً جَنَسَهُ حَتَّى امَّحَتْ

فَإِذَا الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا دَهْمَاءُ^(٢)

(١٨) جَبَلٌ تَقْوُضُ لَوْ تَشَخَّصَ عَظْمُهُ

لَتَوَاصَتِ الْغُبَرَاءُ وَالْخَضِرَاءُ^(٣)

(١٩) وَمَغِيضٌ مَّا قَدْ غَاضَ مِنْهُ شَاهِدٌ

أَنْ لَا يَدُومَ بِحَالِهِ الدَّامَاءُ^(٤)

(٢٠) أَكْبَرْتُ نَعِيَّ جَلَالِهِ فَنَفَيْتُهُ

وَهُوَ الْجَلِيَّةُ مَا عَلَيْهِ خَفَاءُ^(٥)

(٢١) مَاتَ ابْنُ عِيسَى مَنْ يَقُولُ بِهِ عَسَى

شَفِيقًا وَلَيْسَ مَعَ الْحِمَامِ رَجَاءُ

ومنها :

(٢٢) أَفْلا حَمَتُهُ فَضَائِلٌ مَوْفُورَةٌ

وَجَلَالَةٌ تَعْنُو لَهَا الْعُظْمَاءُ^(٦)

(١) شعواء : فاشية متفرقة .

(٢) دهماء : سوداء مظلمة .

(٣) الخضراء : السماء لخضرتها ، وفي الحديث : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر » . انظر : لسان العرب ، (خضر) .

(٤) الداماء : البحر .

(٥) فنفيته : نحيته ، استبعدت خبرنعيه وحاولت نفيه مع أنه أمر ثابت واضح .

(٦) تعنو : تخضع لك وتطيعك ، يقول الفراء : « ... وهو في معنى العربية أن تقول للرجل : عنوت لك : خضعت لك وأطعتك » ، انظر : لسان العرب ، (عنا) .

(٢٣) وَأَذْمَةٌ فِي سِرِّ لَحْمٍ طَالَمَا

خَدِمْتَ رِعَايَةَ حَقِّهَا الْأَمْرَاءُ^(١)

(٢٤) شَهَرُوا سِلَاحَ الدَّمْعِ خَلْفَ سَرِيرِهِ

إِذْ لَمْ يَكُنْ لِلْبَاتِرَاتِ غَنَاءُ^(٢)

(٢٥) رُحْنَا بِهِ بِلَ بِالسِّيَادَةِ وَالْعَلَا

وَالشَّمْسُ نَجْمٌ وَالنَّهَارُ مَسَاءُ

(٢٦) نَطَأَ الْقُلُوبَ عَلَى سَوَاءٍ سَبِيلِهِ

فَالسَّيْرُ مَهْلٌ وَالْعِشَارُ وَلَاءُ^(٣)

(٢٧) أَخَذَ الْأَسَى فِيهِ الْبُرُودَ بِشَارِهِ

مِمَّا جَنَّاهُ الزَّهْرُ وَالْخِيَلَاءُ

(٢٨) حَتَّى إِذَا بَلَغُوا بِهِ مَلْحُودَهُ

قُمْنَا بِهِ لَوْ أَنَّهَ الْجَوَزَاءُ^(٤)

(٢٩) ضَرَبَ الْهُدَى فِي لَحْدِهِ بِيَمِينِهِ

فَتَنَاوَلَتْهُ عَرَصَةٌ فَيَحَاءُ^(٥)

(٣٠) وَأَظْلَلَهُ التَّنْزِيلُ يَتْلُو نَفْسَهُ

بِتِلَاوَةٍ لَمْ يُؤْتَهَا الْقُرَاءُ

(١) أذمة جمع ذمام ، والذمام : الحق والحزمة .

لحم : بفتح اللام وسكون الخاء : قبيلة عربية من اليمن ، كان لهم ملك بالحيرة من العراق ، وكان لبقاياهم ملك بإشبيلية من الأندلس وهي دولة « بني عباد » . انظر : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ، ص ٣٦٧ ، الأعلام ج ٥ ، ص ٢٤١ .

(٢) الباترات : القاطعات .

(٣) العثار : واحده : عثرة . وهي : الكبوة ، وعثر : كبا ، والعثرة : المرة من العثار في المشي .

(٤) الجوزاء : نجم يقال إنه يعترض في جوز السماء ، والجوزاء من بروج السماء .

(٥) فيحاء : واسعة .

(٣١) مُسْتَصْحَباً أَعْمَالَهُ مُتَأَنِّساً

بِزَوَاهِرِ هِيَ وَالنُّجُومُ سَوَاءٌ

(٣٢) وَلَرُبَّمَا اسْتَخْلَصْتَ مِنَّا أَنْفُساً

مَلَأْتَ ضَرِيحَكَ وَالصُّدُورُ جَلَاءٌ

(٣٣) وَهَنَّاكَ لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ لِنَاضِرٍ

حَوْلَ الْقَلِيبِ حَدِيقَةُ غَنَاءٍ^(١)

(٣٤) فِي الْجُبِّ إِذْ يَحْوِي سَمِيكَ أُسُوءَ^(٢)

لَوْ حُمَّ مِنْكَ وَقَدْ حُجِبَتْ لِقَاءُ

(٣٥) يَأْتِرَبَةً اسْتَبَقِي سَنَاءً وَيَافِلَا^(٣)

لَا تَلْحَقَنَّكَ جَرِيمَةُ شَنْعَاءُ

(٣٦) اللَّهُ فِيَّ وَفِي جَوَانِحِ رَطْبَةٍ

لَمْ تَخُلْ مِنْ شَفَقَاتِهَا الْأَعْدَاءُ

(٣٧) أَبْنِيهِ نَحْنُ وَأَنْتُمْ شَرَعٌ بِهِ

وَعَلَى الْمُصَابِ بِفَقْدِهِ شُرَكَاءُ

(٣٨) هُزُّوا قَوَادِمَكُمْ إِلَى عَلَيَّاهُ

قَدْ رَشَحَتْ أَبْنَاءُهَا الْفَتْخَاءُ^(٤)

(١) القليب : البئر ما كانت ، وقال شمر : « القليب اسم من أسماء البئر البديء والعادية ، ولا يخص بها العادية . قال : وسميت قليباً لأنه قلب ترابها .

(٢) قوله « سَمِيكَ » أي : النبي يوسف عليه السلام .

(٣) الفلا : جمع للفلاة ، والفلاة : المفازة .

(٤) الفتخاء : العقاب إذا انكسر جناحها في طيرانها . قال الأصمعي : « وأصل الفتخ اللين ... ومنه قيل للعقاب : فتخاء ؛ وأنشد :

كَأَنِّي بَفَتْخَاءِ الْجَنَاحَيْنِ لِقَوَّةٍ دَفُوفٍ مِنَ الْعِقْبَانِ طَاطَأَتْ شِمْلَالِي
انظر لسان العرب . (فتخ) .

(٣٩) أَمَا وَقَدْ شَبَّهْتُ مَآثِلَ رَسَمِهِ

سَطْرًا فَثَمَّ الْحِكْمَةُ الْغَرَاءُ

(٤٠) وَأَعْجَبَ لِدَاكَ الْخَطُّ فِي صَفْحِ الثَّرَى

أَنْ حَازَ عِلْمًا مَالَهُ إِحْصَاءُ

(٤١) أَنَّى وَسِعَتْ وَأَنْتَ مَضْجَعُ وَاحِدٍ

مَنْ هَذِهِ الْآفَاقُ مِنْهُ مِلَاءُ

(٤٢) يَا زَائِرِيهِ تَكْحَلُّوا بِصَعِيدِهِ

كُحِلُ الْبَصَائِرِ تِلْكَمُ الْبَوْغَاءُ^(١)

(٤٣) فَغَرَّتْ لَهُ فَاهَا الْجَدَالَةُ فَانْطَوَى

فِي طَيْهَا الْإِسْهَابُ وَالْإِيمَاءُ^(٢)

(٤٤) قَسَمَ الْأَنَامُ تَرَاثَ عِلْمِكَ فَاسْتَوَى

فِي نَيْلِهِ الْبُعْدَاءُ وَالْقُرَبَاءُ

(٤٥) كُنَّا عَبِيدَكَ فِي اعْتِقَادِ نَفُوسِنَا

إِذْ فِي اعْتِقَادِكَ أَنَّنَا أَبْنَاءُ

(٤٦) يَا مُلْبَسَ النُّعْمَى يَجْرُ ذِيُولَهَا

لَبَسْتَ ثَرَاكَ غَمَامَةٌ وَطَفَاءُ^(٣)

(٤٧) وَبَكَتْ عَلَيْكَ الشَّمْسُ حَقَّ بُكَائِهَا

أَنْ كَانَ قَدْ تَتَفَاقَدُ النُّظْرَاءُ

(١) البوغاء : التراب عامة ، وقيل : البوغاء : التراب الهابي في الهواء .

(٢) الجدالة : الأرض .

(٣) وطفاء : مسترخية لكثرة مايتها ، أو هي الدائمة السح الحثيثة ، طال مطرها أو قصر .

(٤٨) خُذَهَا عُلاَلَةً خَاطِرٍ دَلَّهَتْهُ

مَنْ حَيْثُ يَنْشَطُ جَاءَهُ الْإِعْيَاءُ^(١)

(٤٩) قَامَتْ تَنَاوَحُ فَيْكَ كُلُّ قَصِيدَةٍ

ثَقَّفَتْهَا وَقَنَاتُهَا زَوْرَاءُ^(٢)

التخريج:

القصيدة بتمامها في : الذخيرة ق ٢ ، م ١ ، ص ٤٧٨-٤٨٥ .

(١) دَلَّهَتْهُ : الدَّلَّةُ والدَّلَّةُ : ذهاب الفرد من هَمٍّ أو نحوه ، ودَلَّهَتْهُ أَي : حيرته وأدهشته .
(٢) زَوْرَاءُ : معطوفة .



﴿الكامل﴾

وقال يصف البزاة :

(١) للصَّيْدِ قَبْلَكَ سُنَّةٌ مَأْثُورَةٌ

لكنَّها بِكَ أَبَدَعُ الْأَشْيَاءِ

(٢) تَمْضِي الْبُزَاةُ وَكُلَّمَا أَمْضَيْتَهَا

عَارَضَتْهَا ^(١) بِخَوَاطِرِ الشُّعْرَاءِ

التخريج :

البيتان في بدائع البدائع ص ٣٦٩ ، ونفح الطيب ج ٤ ، ص ٢٦٠ .

المناسبة :

قال صاحب البدائع ص ٣٦٩ : « وَجَلَسَ - المَعْتَمِدُ - يَوْمًا وَالْبُزَاةُ تُعَرِّضُ عَلَيْهِ ، فَاسْتَحَثَّ الشُّعْرَاءُ فِي وَصْفِهَا ، فَقَالَ عَبْدُ الْجَلِيلِ بَدِيهَا : الْبَيْتَيْنِ السَّالِفَيْنِ . »

(١) في النفح : عاطيتها .



﴿٣﴾

﴿السريع﴾

قال يصفه النيلوفر^(١) :

(١) وَبِرَكَّةٍ تَزْهُو بِنِيلُوفَرٍ^(٢)

نَسِيمُهُ يُشْبِهُ رِيحَ الْحَيِّبِ

(٢) حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ دَنَا وَقَتُّهُ

وَمَالَتِ الشَّمْسُ لِحِينَ الْمَغِيبِ

(٣) أَطْبَقَ جَفْنَيْهِ عَلَى إِلْفِهِ

وَغَاصَ فِي الْمَاءِ حَذَارَ الرَّقِيبِ

التخريج : الأبيات في :

فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٥١ .

(١) النَّيْلُوفَرُ : ويقال النَّيْنُوفَرُ : ضربٌ من الرياحين ينبت في المياة الرَّاكدة ، باردٌ في الثالثة ، رطبٌ في الثانية ، ملينٌ صالحٌ للسعال ، وأوجاع الجنب ، والرئة والصدر ، وإذا عجن أصله بالماء وطلي به البهقُ مرأتِ أزاله . وإذا عجن بالزفتِ أزال داء الثعلب . انظر القاموس المحيط للفيروزبادي . (نيل) .

(٢) في الفوات : [بِلَيْنُوفَرٍ] ولعل الصواب ما أثبتناه .

﴿٤﴾

﴿الوافر﴾

(١) وَأَمْرَدَ يَسْتَهِيمُ بِكُلِّ وَادٍ

وَيَنْصِبُ لِلشَّجَى خِذَا صَلِيبَا

(٢) دَعَوْتُ دُعَاءَ مَظْلُومٍ عَلَيْهِ

وَكَاَنَّ اللَّهَ مُسْتَمِعًا مُجِيبًا ^(١)

(٣) فَطَوَّقَهُ الزَّمَانُ بِمَا جَنَاهُ

وَعَلَّقَ مِنْ ^(٢) عِذَارِيهِ الدُّنُوبَا

التخريج :

الآيات كاملة في الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٤٤-١٤٥ .

والبيت الثالث في الذخيرة ، ق ٣ ، م ٢ ، ص ٦٦٩ .

والبيت الثاني في الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٣٤٦ .

والبيت الثالث في معاهد التنصيص ، ج ٣ ، ص ٨٣ .

المناسبة :

قال ابن بسام في الذخيرة ق ١ ، م ١ ، ص ١٤٤ : « وَأَمَّا صفاتُ المُعْذِرِينَ من الغلمان فقد جرتْ خيولُ فرسان ، هذا الشأنُ بهذا الميدان ، وَتَفَتَّنُوا في ذلك نثرًا ونظمًا ، وتطاردوا فيه مدحًا وذمًا ، وَمِنْ ذَمِّهِمْ من أهل عَصْرِنَا عبدُ الجليل ، حيث يقول :
الآيات السالفة .

(١) في الذخيرة ق ٤ ، م ١ ، ص ٣٤٦ ورد البيت هكذا :

دَعَوْتُ دُعَاءَ مَظْلُومٍ عَلَيْهِ فَعَلَّقَ مِنْ عِذَارِيهِ الدُّنُوبَا

[ولعل الصواب ما أثبتناه] .

(٢) في معاهد التنصيص : (في) .



﴿الطويل﴾

وقال يمدح ابن عمار: ^(١)

- (١) قَتَلْتُ بَنِي الْأَيَّامِ خُبْرًا فَبَاطَنِي
مَشِيبٌ ، وَمَا يَدُو عَلَيَّ شَبَابٌ
(٢) وَلَمَّا رَأَيْتُ الزُّورَ فِي النَّاسِ فَاشِيًا
تَخَيَّلَ لِي أَنَّ الشَّبَابَ خِضَابٌ ^(٢)
(٣) وَآكَيْتُ لَوْلَا مَلِكٌ لَحْمَ مُحَمَّدٍ ^(٣)
لَمَّا كَانَ مَلِكٌ فِي الْأَنَامِ لُبَابٌ ^(٤)
(٤) وَلَوْلَا ابْنُ عَمَّارٍ وَفَاضِلُ سَعِيهِ
لَأَصْبَحَ رُبْعُ الْمَجْدِ وَهُوَ خَرَابٌ
(٥) وَمَا كَانَ يُؤْتَى الْمَجْدُ مِنْ حَيْثُ يُتَغَى
وَلَا كَانَ يُدْرَى لِلْحَوَادِثِ بَابٌ
(٦) وَلَا أَحْرَقْتَ أَرْضَ الْعَدُوِّ صَوَاعِقُ
وَلَا مَطَرَتْ أَرْضَ الْعُفَاةِ سَحَابٌ ^(٥)
(٧) وَمَا كَانَ هَارُونَ أَصَحَّ وَزَارَةً
لِمُوسَى وَهَلْ دُونَ السَّحَابِ حِجَابٌ

(١) مضت ترجمته ص، (٢٤)، هامش رقم (٢) من الدراسة.

(٢) خضاب : الخضاب ما يختضب به من حناء ونحوه.

(٣) أراد بمحمد : المعتمد بن عباد ملك إشبيلية.

(٤) لباب : اللباب الخالص من كل شيء.

(٥) العفاة : الأضياف وطلاب المعروف ، وقيل : هم الذين يعفونك ، أي يأتونك يطلبون ما عندك ، واحدهم : عاف.

(٨) بَعِيدُ الرِّضَى فِي النُّصْحِ مَا كَانَ رَاضِيًا

لَوْ أَنَّ لَهُ السَّبْعَ الشِّدَادَ قِبَابُ

(٩) نَهْوُضٌ وَلَوْ أَنَّ الْأَسِنَّةَ مَرْكَبُ

وَرُودٌ وَلَوْ أَنَّ الْحِمَامَ شَرَابُ^(١)

(١٠) مَضَى مِثْلَمَا يَمْضِي الْقَضَاءُ وَهَزَهُ

هَمَامٌ يَهْزُ الْجَيْشَ وَهَرِ هَضَابُ

(١١) كَمَا اقْتَرَنْتَ بِالْبَدْرِ شَمْسٌ مُنِيرَةٌ

لَهُ عَنْ سَنَاهَا فِي الْخُطُوبِ مَنَابُ^(٢)

(١٢) فَكَأَيْلَهُ صَاعَ الْمَوَدَّةِ وَأَفِيًا

وَكُلُّ مُثِيبٍ بِالْوَفَاءِ مُثَابُ

(١٣) وَمَنْ كَأَبِي بَكْرٍ لِبَكْرٍ مَكَارِمُ

لَهَا مِنْ ثَنَائِي حِلِيَةٌ وَمَلَابُ^(٣)

(١٤) أَنْافَتْ بِهِ فَوْقَ السَّمَائِينَ هَمَّةٌ

أَنَافَ عَلَيْهَا عُنْصُرٌ وَنَصَابُ^(٤)

(١٥) فَلَفَظَتْهُ يَوْمَ الْمَهَابَةِ خُطْبَةٌ

وَلَحَظَتْهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ ضِرَابُ

(١) الأسنة : الرماح .

(٢) الخطوب : جمع خطب ، وهو : الشأن أو الأمر ، صغر أو عظم .

(٣) ملاب : الملا ب ضرب من الطيب .

(٤) أنافت : أناف الشيء علي غيره ارتفع وأشرف .

السماكين : هما نجمان نيران أحدهما السماك الأعزل والآخر السماك الرامح ، والرامح لأنوء له وهو إلى جهة الشمال ، والأعزل من كواكب الأنواء وهو إلى جهة الجنوب ، وهما في برج الميزان .
نصاب : النصاب : الأصل والمرجع ، ونصاب كل شيء : أصله .

(١٦) لَهُ سُنَّةٌ فِي الْجِدِّ وَالْهَزْلِ مِثْلَمَا

تُدَارُ كُؤُوسٌ أَوْ تُدَقُّ حِرَابٌ

ومنها في وصفه بكلامه (١)

(١٧) رَقِيقٌ كَمَا غَنَّتْ حَمَامَةٌ أَيْكَةً

وَجَزَلٌ كَمَا شَقَّ الْهَوَاءَ عُقَابٌ

التخريج :

القصيدة بتمامها في الذخيرة ق ٢ ، م ١ ، ص ٤٩٤-٤٩٥ ، والبيت ١٧ في
الذخيرة ق ١ ، م ١ ، ص ١٤ .

(١) ورد البيت في مقدمة كتاب « الذخيرة » على أنه : وصف لشعر ابن وهبون حيث يقول ابن بسام :
« وقد أودعت هذا الديوان الذي سميته بـ (كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) ، من عجائب
علمهم ، وغرائب نثرهم ونظمهم ، لأن أهل هذه الجزيرة - مذ كانوا - رؤساء خطابة ، ورؤوس
شعر ، وكتابة ، وذهب كلامهم بين رقة الهواء ، وجزالة الصخرة الصماء ، كما قال صاحبهم
عبد الجليل بن وهبون يصف شعره :

رَقِيقٌ كَمَا غَنَّتْ حَمَامَةٌ أَيْكَةً وَجَزَلٌ كَمَا شَقَّ الْهَوَاءَ عُقَابٌ

انظر الذخيرة : ق ١ ، م ١ ، ص ١٤ .

﴿٦﴾

﴿الوافر﴾

وقال في غلام متلثم :

- (١) غَزَالٌ يُسْتَطَابُ الْمَوْتُ فِيهِ
وَيَعَذَّبُ فِي مَحَاسِنِهِ الْعَذَابُ
(١٧) يُقَبِّلُهُ اللَّثَامُ هَوًى وَشَوْقاً
وَيَجْنِي وَرْدَ خَدَّيْهِ ^(١) النِّقَابُ

التخريج :

البيتان في القلائد ، ج ٤ ، ص ٧٧ ، والخريدة ج ٢ ، ص ٩٦ ، وبغية الملتمس
ص ٣٧٤ ، (ط ، مجريط) ، وفوات الوفيات ج ٢ ، ص ٢٥٢ ، ومخطوطة عقود الجمان
ورقة ١٣٣ .

(١) في الخريدة : روض خديه .

﴿٧﴾

﴿الطويل﴾

قال يمدح المهتمد :

- (١) أَرْبَعُ النَّدَى تَهْمِي بِهِ وَتَصُوبُ
وَمَغْنَى الْعُلَا نَأْوِي لَهُ وَنَشُوبُ^(١)
(٢) بِحَيْثُ اسْتَقَلَّ الْمَجْدُ فَوْقَ سَرِيرِهِ
وَقَامَ لِسَانُ الْمَجْدِ وَهُوَ خَطِيبُ
(٣) سَقَاكَ غَمَامٌ مِثْلُ وُدِّي ضَا حَكْ
كَأَنَّ سَمَاءَ الصَّحْوِ مِنْهُ تَذُوبُ
(٤) وَلَا فَاءَ ظِلِّ الْعَيْشِ وَهُوَ مُقْلَصُ
عَلَيْكَ ، وَلَا صَافِيهِ وَهُوَ مَشُوبُ^(٢)
(٥) وَلَا آلَ مُزَوْرًا عَلَيْكَ غُدِيَّةُ
زَمَانٍ يُمَسِّي الصَّفَحَتَيْنِ طَرُوبُ^(٣)
(٦) وَلَا أَنْفَكَ لِلْخِطِيِّ حَوْلَكَ هَزَّةُ
وَلِلْأَعُوجِيَّاتِ الْجِيَادِ دَيْبُ^(٤)

(١) في مسالك الأبصار : تأوي لهن وثوب .

(٢) مقلص : متقبض ... مشوب : مخلوط .

(٣) مزوراً : معرضاً منحرفاً .

(٤) الخطي : الرمح نسبة إلى الخط مرفأ السفن - التي تحمل القنا من الهند - بالبحرين يقال : رمح خطي ، ورماح خطية .

الأعوجيات : جمع أعوج وهو : فرس سابق ركب صغيراً فأعوجت قوائمه والأعوجية منسوبة إليه ، قال الأزهري : والخيول الأعوجية منسوبة إلى فحل كان يقال له أعوج ، يقال : هذا حصان من بنات أعوج ، وفي حديث أم زرع : ركب أعوجياً أي فرساً منسوباً إلى أعوج ، وهو فحل كريم تنسب الخيل الكرام إليه . انظر : لسان العرب ، (عوج) .

(٧) لَقَدْ رُقْتَ حَتَّى قِيلَ إِنَّكَ رَحْمَةٌ

وَإِنَّ أَكْفَ الضَّارِعِينَ قُلُوبُ

(٨) كَأَنَّكَ بَيْتٌ نَادِرٌ وَأَكْفَهُمُ

خَوَاطِرُ أَرْوَى زَنْدَهْنٍ حَبِيبٌ^(١)

(٩) طَلَعَتْ كَرِيعَانَ الشَّيْبَةِ رَوْقَةً

فَكَذَّبَ فِي دَعْوَى الْبِياضِ مَشِيبُ

ومنها يخاطب الربيع :

(١٠) أَرَأَقَ عَلَى عِطْفَيْهِ مِنْهُ طُلَاوَةٌ

مَدَى الدَّهْرِ مِلْتَاحُ الْجَبِينِ مَهِيبٌ^(٢)

(١١) إِذَا رَسَبَتْ يَوْمًا حُلَاهُ فَإِنَّمَا

سِمَاكَ الْعُلَا فِي مُنْتَدَاكَ رُسُوبُ

ومنها :

(١٢) فَيَا أَيُّهَا الْقَصْرُ الْمُبَارَكُ لَا تَزَلْ

وَأَنْتَ جَدِيدُ الْحُلَّتَيْنِ قَشِيبُ

(١٣) وَيَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ دُمْ بِهِ

لِيُتْرَعَ كُوبٌ أَوْ يُثَارَ عَكُوبٌ^(٣)

(١٤) أَسِمَ فِيهِ سَرَحَ اللَّحْظِ مِنْ طَرْفِ بَاسِلٍ

مُرَادُ الْوَعْيِ مِنْ نَاطِرِيهِ عَشِيبُ

(١) أراد بحبيب : الشاعر أبا تمام .

(٢) طلاوة : الطلاوة ، والحسن والبهجة ، والضم اللغة الجيدة ، وهو الأفصح .

ملتاح : اسم فاعل من لوح أي : وضاح متألل .

(٣) عكوب : العكوب : الغبار .

(١٥) سَتَظَاهِرُهُ أُمُّ النُّجُومِ تَحُلُّهُ^(١)

لَهَا كَوَكَبٌ لَا حَانَ مِنْهُ غُرُوبٌ

(١٦) مَحِيطٌ بِمَا أَحْبَبْتَ مِنْ كُلِّ صُورَةٍ

تَرُوقُكَ حَتَّى شَكَلُهُنَّ قَرِيبٌ^(٢)

(١٧) وَمِنْ حُبِّكَ دُونَ السُّمُوكِ كَأَنَّهَا

أَفَارِيدُ^(٣) رَوْضِ الْحَزَنِ وَهُوَ هَضِيبٌ

(١٨) إِلَى طَرَرٍ^(٤) تَحْكِي أَصَائِلَ مُلْكِهِ^(٥)

تَكَادُ بِأَنْدَاءِ النُّضَارِ تَصُوبُ

(١٩) وَمِنْ مَرَمَرٍ أَحْذَاهُ رَوْنَقُهُ الْمَهَا^(٦)

فَأَخْطَأَ فِيهِ اللَّحْظُ وَهُوَ مَصِيبٌ

(٢٠) وَبَحَرٍ عَلَيْهِ لِلرِّيحِاحِينَ فَيَّةٌ

كَيْمَنَّاكَ مُخْضَرُّ الْبُرُودِ لُحُوبٌ^(٧)

(٢١) لَئِنْ كَانَ مَكْظُومًا كَغِيْظِكَ إِنَّهُ

كَعَرْضِكَ مَصْقُولُ الْأَدِيمِ خَشِيبٌ^(٨)

(١) فِي مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ : تَخَالَهُ .

الظنير : الناقة تعطف على ولد غيرها وقيل للمرأة الأجنبية تحضن ولد غيرها ظنر وللرجل الحاضن : ظنر أيضاً .

(٢) فِي مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ : مَرِيب .

(٣) فِي الْمَسَالِكِ : أَفَاوَيْف .

(٤) طَرَرُ الْأَطْرَافِ أَوْ التَّوَاحِي يُقَالُ طَرَرُ الْوَادِي وَأَطْرَارُهُ : نَوَاحِيهِ ، وَطَرَّةٌ كُلُّ شَيْءٍ : نَاحِيَتِهِ ، وَأَطْرَارُ الْبِلَادِ : أَطْرَافُهَا .

(٥) فِي مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ : سَلَكُهُ .

(٦) فِي مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ : النَّهْيُ .

(٧) لُحُوبٌ : لَحَبُ الطَّرِيقِ يَلْحَبُ لِحُوبًا وَضَحَ كَأَنَّهُ قَشَرُ الْأَرْضِ .

(٨) خَشِيبٌ : صَقِيلٌ كَالسِّيفِ .

(٢٢) أرى حورَ الأحداقِ أو رونقَ الطلَى

طَلاهُ ففيهِ للعُقُولِ خُلُوبٌ^(١)

(٢٣) أجلُ إنما يجتابُ منك بشاشةً

لها جيئةٌ من فوقه وذُهوْبُ

(٢٤) وإلاّ فمنِ آدابِك الزُّهرِ يجتلي

فرنداً لهُ درٌّ عليه رَطِيبُ

(٢٥) كما ضاعَ من أهدابِ ثوبِك نشرهُ

وكلُّ صعيدٍ مسٍّ وطوْكَ طيبُ

(٢٦) وكلُّ هواءٍ تحتَ ظلكَ سجسجُ

وكلُّ مكانٍ في ذراكَ خصيبُ^(٢)

(٢٧) إليك أشارتِ أعينٌ وأناملُ

وفيك أجيلتِ السُّنُّ وقلوبُ

(٢٨) كأنك من طبعِ الحياةِ مُركَّبُ^(٣)

فأنتَ إلى كلِّ النفوسِ حبيبُ^(٤)

(٢٩) ملكٌ كما تهوَاهُ : أمّا دلاصُهُ

فغَاوُ ، وأمّا بُردُهُ فَمُنِيبُ^(٥)

(١) الطلَى : العنق أو صفحة العنق .

(٢) سجسج : السجسج : الهواء المعتدل بين الحر والبرد .

(٣) في مسالك الأبصار : من كل القلوب مركب .

(٤) في مسالك الأبصار : كل القلوب .

(٥) دلاصه : الدلاص من الدروع : اللينة ، ودرع دلاص : براءة ملساء لينة بينة الدلاص .

منيب : مطيع .

(٣٠) مَوْفَّرُ أَعْطَافِ السِّيَادَةِ لَمْ يَزَلْ

بِأَفْئِدَةِ الْأَعْدَاءِ مِنْهُ وَجِيبٌ^(١)

(٣١) إِذَا ضَاقَ فِي الْهَيْجَا مَجْرُ سَنَانِهِ

فَإِنَّ مَنَاطَ السَّيْفِ مِنْهُ رَحِيبٌ

ومنها :

(٣٢) لَهُمْ حَارِكٌ^(٢) لِلْمُلْكِ تَمَّ حَنِيفُهُ^(٣)

سَمَّا كَاهِلٌ مِنْهُ وَسَالَ سَبِيبٌ

(٣٣) وَكَانُوا عَلَيْهِ فِي الزَّمَانِ فَوَارِسًا

عَلَّتُهُ وَشَبَّانُ تَرَوْقٍ وَشَيْبٌ

(٣٤) وَسُنَّةٌ مَجْدٍ مِنْ نَعِيمٍ وَشِدَّةٌ

عَلَى الدَّهْرِ مِنْهَا مُحَكَّةٌ وَقُطُوبٌ^(٤)

(٣٥) لِيُخْضَبَ مِنْهَا الْيَوْمُ وَالْأَفُقُ أَشِيبٌ

وَيَنْصُلُ ثَوْبُ اللَّيْلِ وَهُوَ خَضِيبٌ

ومنها في صفة بنيهِ :

(٣٦) ثَغُورٌ عَلَى الْمَجْدِ التَّلِيدِ ضَوَاحِكٌ

وَأَيْدٍ إِلَى الْمَجْدِ التَّلِيدِ تَصُوبٌ

(١) وجيب : وجب القلب يجب وجباً : خفق واضطرب .

(٢) حارك : الحارك أعلى الكاهل .

(٣) في الذخيرة : ثم ، والمعنى لا يستقيم بها ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

تم حنيفه : أصلح مائله .

(٤) محكة : المحكة هي اللجاجة وعسر الخلق .

(٣٧) تَرْقِرْقَ عَنْهُ الْمَلِكُ وَاهْتَزَّ عَظْفُهُ

كَمَا اهْتَزَّ مَخْشُوبُ الْغَرَارِ قُضِيبٌ^(١)

(٣٨) مَشَابَهُ لَا تُخْطِي عِلَاكَ سَهَامُهَا

فَتَهْوِي إِلَى أَغْرَاضِهَا فَتَصِيبُ

(٣٩) تَمَّلاً أَثْنَاءَ النَّدَاءِ مَهَابَةً

وَتَبَسُّمٌ عَنْهَا الْحَرْبُ وَهُوَ قُطُوبُ

(٤٠) وَيَهْنِيكَ عِيدٌ لِلصَّيَامِ ذَخَرَتَهُ

كَفَيْلٌ بَأَنَّ اللَّهَ عَنْهُ مَثِيبُ

(٤١) وَعِيدٌ عَلَيْهِ مِنْكَ رَسْمٌ طَلَاقَهُ

كَأَوْبٍ حَبِيبٍ طَالَ عَنْهُ مَغِيبُ

(٤٢) خَلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ بَهَائِكَ حُلَّةً

كَمَا عَصَفَرْتَ فَوْقَ الْعُرُوسِ جُيُوبُ^(٢)

(٤٣) وَنَمَّتْ عَلَيْهِ مِنْ مَدِيحِكَ فَوْحَةٌ

كَمَا مَسَحَتْ فَوْقَ الرِّيَاضِ جَنُوبُ

التخريج :

القصيدة بتمامها في الذخيرة ق ٢ ، م ١ ، ص ٥١٦-٥١٩ . والأبيات
١-٢-٣-٩-١٢-١٣-١٥-١٦-١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٣-٢٧-٢٨ في
مخطوطة مسالك الأبصار ج ١١ ، ق ١ ، ورقة ٢٢٤ .

(١) الغرار : حد الرمح والسيف والسهم .

(٢) عصفرت : العصفر هو الذي يصبغ به ، ومنه ريفي ، ومنه بري ، وكلاهما نبت بأرض العرب .



﴿الطويل﴾

وقال :

(١) يقولُ حذاراً لا اغتراراً^(١) فطالماً

أناخ قتيلٌ بي ومَرَّ^(٢) سَلِيبُ

(٢) وينشدنا : [إنا غريبان ها هنا

وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيبٌ^(٣)

(٣) فإن لم يزره صاحبٌ أو خليله^(٤)

فقد زاره نسرٌ هنالك وذيبُ

(٤) فهما هو^(٥) : أما منظرًا فهو ضاحكٌ

إليك وأما نصباً فكئيبُ

(١) في القلائد ، والبدائع ، والفوات : حذار الاغترار .

(٢) في البدائع : فر .

(٣) إشارة إلى قول امرئ القيس من مقطوعة قالها وهو عائد من رحلته إلى قيصر عند وصوله إلى جبل

عسيب حيث وجد امرأة تدفن هناك ، فقال :

أجارتنا إن الخطوب تنوبُ وأناي مقيمٌ ما أقام عسيبُ

أجارتنا إنا غريبان ها هنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ

وقد علق محقق الديوان قائلاً : « ذكر السيوطي أنه رأى في كتاب « مقاتل الفرسان » أن هذين

البيتين لـ « فخر بن عمرو أخي الخنساء : وإذا صح أنه - أي فخر بن عمرو - دفن بسفح عسيب

فلعله أن يكون قد تمثل بهما » . المحقق .

انظر : ديوان امرئ القيس تحقيق : حسن السندوبي ، ط : الاستقامة ، ص ٥٥ .

(٤) في البغية : و خليله .

(٥) في البدائع : وها هو .

التخريج :

الآبيات كاملة في : القلائد، ج ٤ ، ص ٧٤٣ ، والبيت الأول في الذخيرة ، ق ٣ ، م ٢ ، ص ٦٤٩ ، ووردت الآبيات كاملة - منسوبة لابن خفاجة في ديوانه (ص ١٣٦) ، والصواب أنها ليست له بل لعبد الجليل بن وهبون ، وهذا ما تنبه إليه محقق الديوان. كما أنها وردت في جميع المصادر التي أمكن الرجوع إليها منسوبة لابن وهبون - ووردت الآبيات كاملة أيضاً في بدائع البدائع ، ص ١٢٨ ، ووردت الآبيات كاملة كذلك في المطرب من أشعار أهل المغرب ص ١٢٣ ، كما ورد البيت الأول في الفوات ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ ، كذلك ورد البيت الأول في مخطوطة عقود الجمان ورقة رقم ١٣٣ .

المناسبة :

قال ابن دحية الكلبي في المطرب ص ١٢٢ : « وكان عبد الجليل منطّقاً بما يقول ، يجري على لسانه المقول ، حدثنا غير واحد من شيوخنا - رحمهم الله - منهم : سلطان بلنسية « أبو عبد الملك بن عبد العزيز » ، والوزير الكاتب « أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن عميرة » والفقيه القاضي بجزيرة شقر « أبو يوسف يعقوب بن طلحة » ، قالوا : حدثنا الوزير « أبو إسحاق بن خفاجة » قال : « لقيت الشاعر أبا محمد عبد الجليل بين لورقة وألمرية فبتنا نتناشد الأشعار ، وتذاكر الآداب والأخبار ، فلما انفجر عمود الصباح ، وحيعل داع الفلاح وكان العدو على مقربة من البلاد ، والناس في ضروب من الخوف والأنكاد ، وسرنا وفؤاد عبد الجليل يطير فرقاً وفرائصه ترتعد قلقاً ، فأخذت أسكن روعه بأناشيد من القريض ، وهو لما داخله من الوجل كالمدنف المريض ، لا ييدي ولا يعيد ، إلى أن أطلعت لنا اليد مشهدين وعليهما رأسان يخاطبان من الحال بأفصح لسان ، فقلت مرتجلاً والركب يجد السير من الفرع عَجَلاً :

أَلَا رَبَّ رَأْسٍ لَا تَزَاوَرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ وَالْمَزَارِ قَرِيبُ
أَنَافَ بِهِ صَلْدُ الصَّفَا فَهُوَ مِنْبَرٌ وَقَامَ عَلَى أَعْلَاهُ وَهُوَ خَطِيبُ

فتاب لعبد الجليل عقله ، وآب إليه ذكاؤه ونبله فقال الآبيات السالفة .

﴿٩﴾

﴿الطويل﴾

وقال :

(١) دَنَا الْعِيدُ لَوْ تَدْنُو لَنَا ^(١) كَعَبَّةُ الْمُنَى

وَرَكْنُ الْمَعَالِي مِنْ ذُوَابَةِ يَعْرُبٍ ^(٢)

(٢) فَيَا أَسَفَا ^(٣) لِلشَّعْرِ تَرْمَى جِمَارُهُ

وَيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ ^(٤) الْمُحَصَّبِ ^(٥)

التخريج :

البيتان في الذخيرة ق ٢ ، م ١ ، ص ٤٧٥ ، والقلائد ج ٤ ، ص ٧٧١ والخريدة ج ٢ ، ص ١٠٢ ، والمطرب ص ١٢١ ، والفوات ج ٢ ، ص ٢٥٠ ، ومخطوطة عقود الجمان ورقة رقم ١٣٣ ، ومخطوط الأسكوريال ، ٤٨٨ ، ورقة رقم ١٠٣ .

المناسبة :

قال ابن بسام في الذخيرة ق ٢ ، م ١ ، ص ٤٧٥ : «حدثني غير واحد أنه - أي عبد الجليل بن وهب - اجتاز بالمرية ، في بعض رحله الشرقية ، وملكها يومئذ قبلة الأمال ، وقطب رحي الآمال ، ومرمى جمار المدائح ، أبو يحيى بن صمادح ، فاهتز لعبد الجليل واستدعاه ، وعرض له بجملة وافرة من عرض دنياه ، فلم يعرج على صفده ، وبادر العيد وكان قريباً بالارتحال عن بلده ، فقال في ارتجال البيتين السابقين .

(١) في الخريدة ، والمطرب ، والفوات ، وعقود الجمان : تدنوبه .

(٢) ذؤابة : الذؤابة : الناصية ، وذؤابة الجبل أعلاه ثم استعير للعرز والشرف والمرتبة .

(٣) في الخريدة ، والمطرب : فياويلتا ، وفي القلائد : فوا أسفي .

(٤) في عقود الجمان : بين النقا والمحصب .

(٥) المحصب : موضع رمي الجمار بمنى .

﴿١٠﴾

﴿البسيط﴾

وله في غلام وسيم كإي يشاربه، فنام وتقلد سمطاً من در
الحرق شاربه :

(١) وَشَادِنٍ قَدْ كَسَاهُ الرُّوضُ حُلَّتَهُ

يَسْتَوْقِفُ الْعَيْنَ بَيْنَ الْغُصْنِ وَالْكَثَبِ

(٢) مُمَّوهُ الْحُسْنِ لَمْ يُعَدِّمْ مُقْبَلَهُ

فِي خَدِّهِ رَوْنَقاً مِنْ ذَلِكَ الشَّنَبِ

(٣) تَدْعُو إِلَى حُبِّهِ لَمِيَاءُ كُلِّهَا

زَبْرَجْدُ النَّبْتِ يَجْلُو لَوْلُؤِ الْحَبِّ

التخريج :

الأبيات في القلائد ج ٤ ، ص ٧٧٢ ، والخريدة ج ٢ ، ص ٩٧ ، ومخطوطة
مسالك الأبصار ج ١١ ، ق ١ ، ورقة رقم ٢٢٠ .

﴿ ١١ ﴾

﴿الطويل﴾

وقال يصفه الخمر :

(١) وَمَشْمُولَةٌ فِي الْكَأْسِ تَحْسَبُ أَنَّهَا

سَمَاءٌ عَقِيقٌ زُيِّنَتْ بِكُوَاكِبِ

(٢) بَنَتْ كَعْبَةَ اللَّذَّاتِ فِي حُرْمِ الصَّبَا

فَحَجَّ إِلَيْهَا اللَّهُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

التخريج :

البيتان في غرائب التنبهات على عجائب التشبيهات ص ١٣٢ .

﴿١٢﴾

﴿الطويل﴾

وقال :

(١) يَعْزُّ عَلَى الْعِلْيَاءِ أَنِّي خَامِلٌ

وَأَن أَبْصَرْتَ مِنِّي خُمُودَ شِهَابٍ

(٢) وَحَيْثُ يُرَى ^(١) زَنْدُ النَّجَابَةِ وَارِيَاًفَثَمَّ يُرَى ^(٢) زَنْدُ السَّعَادَةِ كَابِي

وفي هذه القصيدة يقول عبد الجليل :

(٣) وَإِنِّي لَفِي دَهْرٍ فَرَأَيْتُ أُسْدَهُ

سُدَى عَبَثَتْ فِيهِ نِيُوبَ كِلَابٍ

(٤) أَتَخَفَى عَلَى الْأَيَّامِ غُرّاً مَنَاقِبِي

(٥) وَقَدْ بَدَّ شَاوِي شَاوُ كُلِّ نِقَابٍ ^(٣)

(٥) وَيَرْكَبُنِي رَسْمُ الْخُمُولِ وَقَدْ غَدَتِ

خَصَالُ الْعُلَا وَالْمَجْدِ طَوْعَ رِكَابِي

(٦) سَأَرْقَى بِهِمَّاتِي قُصَارَى مَرَاتِبِي

وَأَن كَانَ أَدْنَاهَا يُطِيلُ طِلَابِي

(٧) لَتَعْلَمَ أَطْرَافُ الْأَسِنَّةِ أَنَّني

كَفِيلٌ بِهَا عِنْدَ الصَّدَا بِشَرَابٍ

(١) في شرح المقامات للشريشي ، والغيث المسجم ، وعقود الجمان : ترى

(٢) في شرح المقامات للشريشي ، والفوات ، والغيث المسجم ، وعقود الجمان : ترى ، ولعل رواية

الذخيرة - التي اعتمدها - أسلم لأن رواية البيت على أساسها أليق بصياغة الحكم والأمثال السائرة .

(٣) شَاوُ : الشَاوُ : الغاية والأمد .

(٣) بَدَّ : فاق .

(٨) وَتَشْهَدُ أَطْرَافُ الْيَرَاعَاتِ أَنَّنِي

بِهِنَّ مُصِيبٌ فَصَلَ كُلَّ خِطَابٍ^(١)

(٩) وَلَيْسَ نَدِيمِي غَيْرَ أَبْيَضٍ صَارِمٍ

وَلَيْسَ سَمِيرِي غَيْرَ شَخْصٍ كِتَابٍ

(١٠) مُضْمَخَةٌ لَا بِالْخَلُوقِ أَنَامِلِي

مُزَعْفَرَةٌ لَا بِالْعَبِيرِ حَرَابِي^(٢)

(١١) وَلَكِنْ بِنَفْحٍ يُخْجِلُ الرُّوضَ زَاهِرًا

وَلَكِنْ بَدْعَسٍ فِي كُلِّ وَرَقَابٍ

ومنها :

(١٢) وَمَنْ لَمْ يُخَضِّبْ رُمَحَهُ فِي عِدَاتِهِ

تَسَاوَتْ بِهِ فِي الْحَيِّ ذَاتُ خِضَابٍ

(١٣) وَمَنْ لَمْ يُحِلِّ السِّيفَ مِنْ بَهِمِ الْعَدَا

تَحَلَّى بِخَزْيٍ فِي الْحَيَاةِ وَعَابٍ^(٣)

(١٤) إِذَا وَرَقَ الْفُلُودِ هَزَّتْ سَاقَطَتْ

ثِمَارٌ حُتُوفٍ أَوْ ثِمَارٌ رَغَابٍ^(٤)

(١) اليراعات : الأقلام ، قال في أساس البلاغة : « وكب الكاتب باليراعة » .

انظر : أساس البلاغة للزمخشري ، (يرع) .

(٢) مضمخة : ملطخة .

(٣) بهم : البهمة بالضم : الشجاع ، وقيل : هو الفارس الذي لا يدرى من أين يؤتى له من شدة بأسه ،

والجمع « بهم » ، وقيل : هم جماعة الفرسان ويقال للجيش : « بهمة » .

(٤) حتوف : جمع حتف وهو : الموت .

رغاب : جمع رغب ، يقال فرس رغب الشحوة : كثير الأخذ من الأرض بقوائمه والجمع رغاب .

(١٥) وَمَنْ يَتَّخِذْ غَيْرَ الْحُسَامِ مَخَالِباً

فَمَا هُوَ إِلَّا وَارِدٌ بِسَرَابٍ

(١٦) وَمَنْ غَرَّهُ مِنَ ذَا الْأَنَامِ تَبَسُّمٌ

فَبِالْعَقْلِ قَدْ أَضْحَى أَحَقُّ مُصَابٍ

التخريج:

القصيدة بتمامها في الذخيرة ق ٢، م ١، ص ٤٩٧-٤٩٨، والبيتان ١-٢ في شرح المقامات للشريشي ج ٢، ص ١٣٨، والبيتان ١-٢ أيضاً في الفوات ج ٢، ص ٢٥١، وكذلك البيتان ١-٢ في الغيث المسجم في شرح لامية العجم للصفدي ج ٢، ص ١٢٨، والبيتان ١-٢ أيضاً في مخطوطة عقود الجمان ورقة رقم ١٣٣.

﴿١٣﴾

﴿المنسرح﴾

و قال من قصيدة يرثي صديقاً له من الكتاب :

(١) جَهَبْتُ قَوْلَ وَفَارِسٍ نَدَسٍ^(١)

يُمْضِي عَلَى الْقَصْدِ كُلِّ مَرْكُوبٍ

(٢) تُرْهَبُ فِي كَفِّهِ يَرَاعَتُهُ

كُلُّ أَصَمِّ الْكُعُوبِ مَرْهُوبٍ^(٢)

(٣) دَعُ قُضْبَ الْخَطِّ لِلَّذِي حَمَلَتْ

مِنْ قَصَبِ الْخَطِّ فِي التَّجَارِبِ

(٤) يُعْتَقَلُ الرُّجْحُ فِي النَّدِيِّ وَمَا

فِي كَفِّهِ مِنْهُ غَيْرُ أَنْبُوبٍ

ومنها :

(٥) بَانَ عَنِ الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ أَخٌ

لَيْسَ أَخُو صِدْقِهِ بِمَكْذُوبٍ

التخريج :

وردت الأبيات في : الخريدة ج ٢ ، ص ١٠٠ .

(١) ندس : الندس : الفطن.

(٢) الكعوب : الكعب : عقدة ما بين الأنبيين من القصب والقنا ، وقيل هو أنبوب ما بين كل

عقدتين وقيل : الكعب طرف الأنبوب الناشز .

﴿١٤﴾

﴿البسيط﴾

و قال يمدح الرشيد بن المحمّد :

- (١) أَطَلْتُ فِي الدَّهْرِ تَصْعِيدِي وَتَصْوِيبي
ودهر ذي اللب مضمّار التّجاريبِ
- (٢) وَرَبِّ أَخْرَقَ لَا يَهْدِي إِلَى فَمِهِ
أَصَابَ غُرَّةَ مَأْمُولٍ وَمَرْغُوبِ
- (٣) وَآفَتِي أَدَبٌ بَادٍ فَضِيلَتُهُ
مِنْ حَيْثُ يَشْفَعُ لِي قَدْ صَارَ يُغْرِي بِي
- (٤) كَفَى مِنَ اللَّحْظِ أَنِّي لَا أَنْفَسُ فِي
حَظٍّ وَمُخْبَرَتِي تَكْفِي وَتَجْرِيبي
- (٥) وَقَدْ أَرَى صُورًا فِي النَّاسِ مَائِلَةً
أَشِيمُهَا بَيْنَ تَحْقِيقٍ وَتَكْذِيبِ
- (٦) لَمَّا مَلَأْتُ يَدِي مِنْهُمْ لِأَخْبَرَهُمْ
نَفَضْتُ كَفِي بِأَشْبَاهِ الْيَعَاسِبِ (١)
- (٧) بِيضٌ وَجُوهُهُمْ ، سُودٌ ضَمَائِرُهُمْ
فَمَا حَصَلْتُ عَلَى عُرْبٍ وَلَا نُوبِ
- (٨) الصَّدَقُ أَوْلَى بِمَنْ يُبْدِي ضَغِينَتَهُ
لَا تَجْعَلِ الصَّدَقَ فِي نَعْتِ الْأَصَاحِبِ

(١) اليعاسيب : جمع يعسوب ، واليعسوب : أمير النحل وذكرها.

(٩) فِي حُسْنِ رَأْيِ عُبَيْدِ اللَّهِ^(١) لِي عِوَضٍ

وَفَضْلُهُ بَدَلٌ مِنْ كُلِّ مَطْلُوبٍ

(١٠) وَإِنْ صَحَبْتُ فَتَامِي لِي لَغْرَتِهِ

وَذِكْرُهُ خَيْرٌ مَأْلُوفٍ وَمَصْحُوبٍ

(١١) بِذَلِكَ الْوَجْهَ تُجَلَّى كُلُّ غَاشِيَةٍ

عَنْ نَازِلٍ بِوُجُوهِ اللَّوْمِ مَحْصُوبٍ

(١٢) عَادَ الْمُصَلَّى بِوَضَاحِ أَسْرَتِهِ

تُنْبِيكَ عَنْ خَلَدٍ بِالْفَهْمِ مَشْبُوبٍ

(١٣) فَاسْتَقْبَلَتْ قِبْلَةَ الْإِسْلَامِ بَدْرٌ عَلَا

يُمَسِّي لَهُ الْبَدْرُ نَجْمًا غَيْرَ مَحْسُوبٍ

(١٤) وَغُرَّةٌ تَطْلُبُ الْأَمَالَ قَبْلَتُهَا

بَيْنَ الْمَحَارِبِ طُرّاً وَالْمَحَارِبِ

(١٥) أَدْنَى الْمَوْئِدِ إِذْ شَطَّتْ مَنَازِلُهُ

فَضْلاً بِفَضْلٍ وَتَهْذِيباً بِتَهْذِيبٍ

(١٦) كَالطَّرْفِ وَالْقَلْبِ فِيمَا بَيْنَ ذَاكَ وَذَا

مَسْرَى الضَّمِيرِ وَتَبَعِيدٌ كَتَقْرِيبِ

(١) عبيد الله : هو عبيد الله الرشيد بن محمد المعتمد بن عباد ، أبو الحسين ، ترجم له ابن الأبار في الحلة السيرة فقال : « إن كبار أولاد المعتمد محمد بن عباد : عبيد الله هذا ... كان دمثاً رقيق حاشية الطبع ... ، وكان يجيد ضرب العود ... وكان له أدب وشعر ، قيل إن أباه ولاه عهده وقدمه إلى خطة القضاء بإشبيلية . »

انظر ترجمته في : الحلة السيرة لابن الأبار ج ٢ ، ص ٦٨-٧٠ ، التكملة لابن الأبار ص ٦٨ ، وانظر ، نفح الطيب ج ٣ ، ص ٦١٢ ، ٦١٤ .

ومنها :

(١٧) فَبِتُّ مِنْ وَصْفِهِ فِي غَايَةِ قَذْفٍ

(١) وَالطَّبَعُ يُنْجِدُنِي وَالْفِكْرُ يَسْرِي بِي

(١٨) كَأَنِّي وَاجِدٌ مِنْ عَرَفٍ سُودِدِهِ

رِيحَ الْقَمِيصِ سَرَتْ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبِ

التخريج :

القصيدة بتمامها في الذخيرة ق ٢ ، م ١ ، ص ٤٩٥-٤٩٦ .



﴿١٥﴾

﴿المنسرح﴾

وقال :

(١) [مَالَ عَلَيْهَا الْعَرِيشُ فَاَنْكَسَرَتْ]

كَأَنَّهَا مِنْ سُلَافَةٍ سَكِرَتْ

(٢) لَمْ تَرَ عَيْنِي وَلَا وَعَعْتُ أُذُنِي

سُلَافَةً أَسَكِرَتْ وَمَا عَصِرَتْ

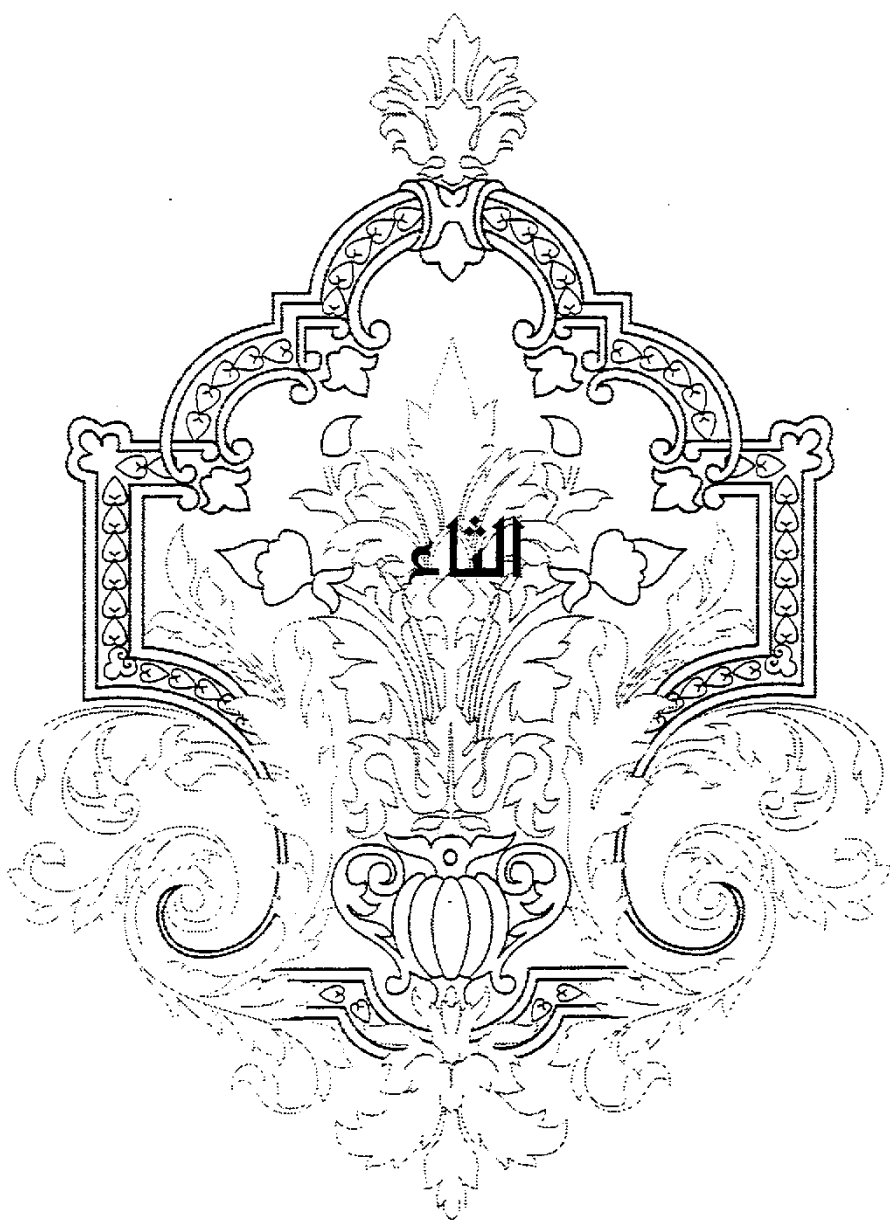
التخريج :

البيتان في : الغيث المسجم في شرح لامية العجم ج ١ ، ص ٢٨٦ .

المناسبة :

قال صلاح الدين الصفدي في الغيث المسجم ج ١ ، ص ٢٨٦ :

« ذكرت هنا واقعة عبد الجليل المرسي مع خاله ... قيل : إنه كان دون الحلم وهو إلى جانب خاله ، وقد صنع له عريش ، فانكسرت دعائمها ، ثم رفعت على أخشاب الجوز فانكسرت . فقال له خاله أجز : « مال عليها العريش فانكسرت » فقال : كأنها الخ . البيت ... ثم قال البيت الثاني .



﴿١٦﴾

﴿البسيط﴾

و قال في غلام :

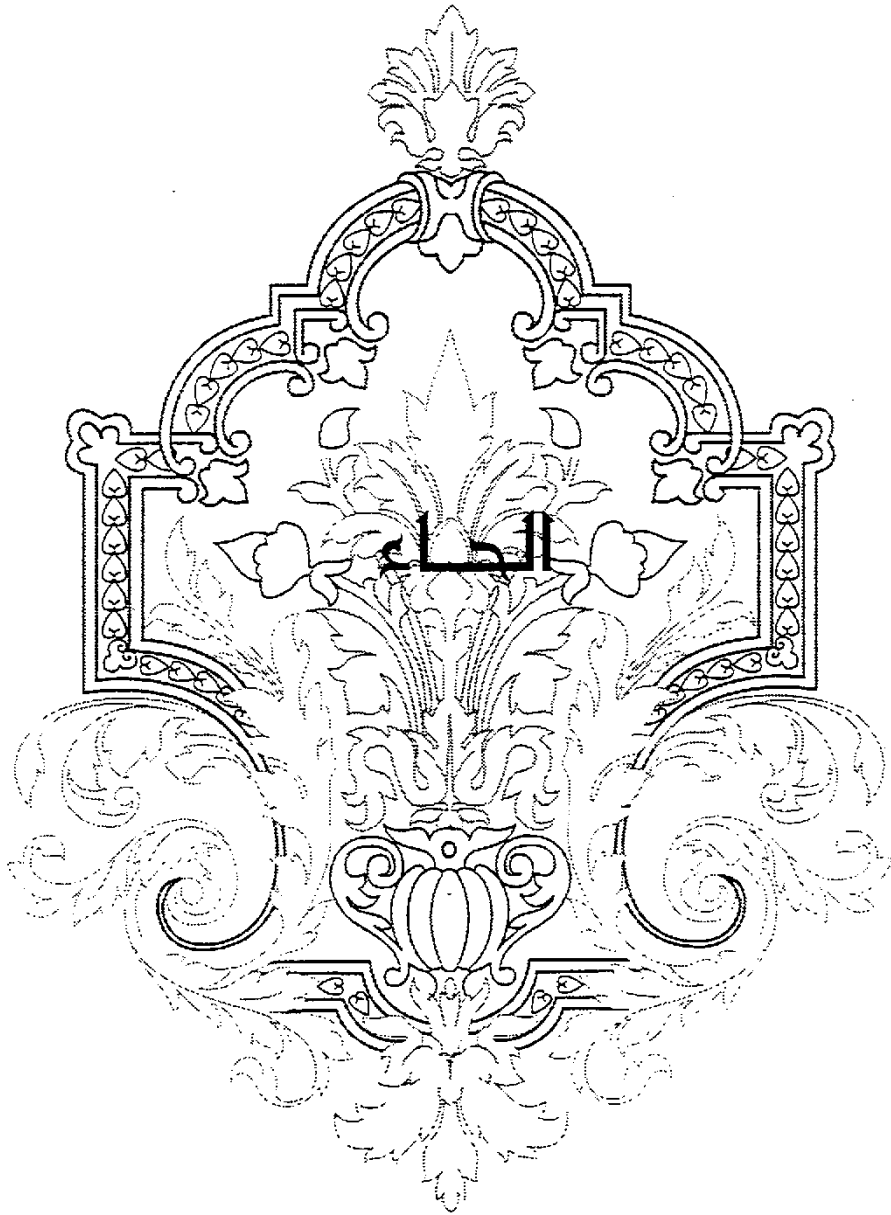
- (١) يا نَوْمُ عَاوِدْ جُفُونًا طَالَمَا سَهَرْتَ
فَإِنَّ بَاعِثَ وَجَدِي رَقٌّ لِي وَرَثًا
(٢) عَانَقْتُهُ وَهَلَالُ الْأُفُقِ مُطْلَعٌ
فَبَاتَ مِنْ كَمَدِي حَيْرَانَ مُكْتَرِثًا
(٣) أَثَارَ لِحْظِي طَرِيقًا فَوْقَ عَارِضِهِ
وَكَانَ هَارُوتُ فِي أَثْيَابِهِ نَفْثًا
(٤) وَكَانَ لِلْحُسْنِ سِرٌّ فِيهِ مُكْتَمٌ
وَشَى بِهِ نَاطِرِي مِنْ طُولِ مَا بَحَثَا
(٥) لَمْ تَدُلُّ عَلَى بَلْبَالٍ مُبْصَرِهِ
مَازَالَ يَبْعَثُ وَجَدِي كُلَّمَا انْبَعَثَا
(٦) مِنْ آلِ مَذْحِجٍ لِي شَخْصٌ كَلَفْتُ بِهِ
لَمْ يَنْقُضِ الْعَهْدَ مِنْ وُدِّي وَلَا نَكْثًا

التخريج :

الآيات كاملة في: القلائد ج ٤ ، ص ٧٧٤ ، والآيات كاملة في الخريدة ج ٢ ، ص ١٠٢ .

المناسبة :

قال صاحب القلائد ج ٤ ، ص ٧٧٤ : « وعلق بإشيلية أحد فتيانها ، وأنجد أعيانها ، وكان أجمل من جال في خلد ، واستطال علي جلد ، وهام به هيام الأحوص بدعد ، والراعي بهند بنت سعد ، وكان الفتى ينافر وصله ، ويَطْرِدُ فِي مَبَاعِدَتِهِ أَصْلَهُ إِلَى أَنْ أَطْلَ شَعْرَ عَارِضِهِ ، وَدَلَّ لِمُعَارِضِهِ ، فعاد إلى مساعدته ، واستعاد بدنوه مَبَاعِدَتَهُ فَقَالَ الْآيَاتُ السَّالِفَةُ .



﴿١٧﴾

﴿المنسرح﴾

وقال يصفه بازياً :

- (١) وَصَّارِمٌ فِي يَدَيْكَ مُنْصَلَتٌ
 إِنْ كَانَ لِلسَّيْفِ فِي الْوَعَى رُوحٌ
 (٢) يَجْتَابُ مِمَّا لَبَسْتَ ضَافِيَةً
 لَهَا عَلَى مِعْطَفِيهِ تَوْشِيحٌ
 (٣) مُتَقَدُّ^(١) اللَّحْظِ مِنْ شَهَامَتِهِ
 فَالْجَرُّ مِنْ نَاطِرِيهِ مَجْرُوحٌ
 (٤) وَالرَّيْحُ تَهْفُؤُكَ كَأَنَّمَا طَلَبَتْ
 سَلِيلَهَا فِي يَمِينِكَ الرِّيحُ

التخريج :

الآيات في القلائد ج ٤ ، ص ٧٧٢ ، والخريدة ج ٢ ، ص ١٠٣ ، ومخطوطة
 مسالك الأبصار ، ج ١١ ، ق ١ ، ورقة ٢٢٠ .

(١) في المسالك : مسعر .

﴿ ١٨ ﴾

﴿ الكامل ﴾

وقال :

(١) وَمُعَذِّرِينَ كَأَنَّمَا بِخُدُودِهِمْ

طُرُقُ الْعُيُونِ وَمِنْهُمْ الْأَرْوَاحُ

(٢) وَكَأَنَّمَا صَقَلُوا الْجَمَالَ وَأَظْهَرُوا

مَشْيَ النَّمَالِ عَلَى مُتُونِ صِفَاحِ

التخريج :

البيان في : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٤٦ .

﴿ ١٩ ﴾

﴿ الكامل ﴾

وقال :

(١) أهوى^(١) سكران اللواحظ مارنا

إلا وأسكر كل قلب صاح

(٢) أمل من الآمال أهيف أحور

خلعت عليه لطافة الأرواح

(٣) متجند جعل الفؤاد وطيسه

ولحاظه بدلا من الأرماح

(٤) علمته سفك الدماء بمهجتي

وتركته يجني بغير جناح

التخريج :

الآيات في : القلائد ج ٤ ، ص ٧٧٣ ، والخريدة ج ٢ ، ص ٩٨ .

(١) في الخريدة : بأبي .



﴿٢٠﴾

﴿البسيط﴾

وقال وقد توقفه مرتبه عند الحامل :

- (١) أَلَسْتُ مَعشَرَ الْأَمْلَاقِ طَائِفَةً
تَقْضِي بِتَخْلِيدِهَا هَذِي الْأَنَاشِيدُ
(٢) فَإِنْ نَقَصْتُمْ أَنْسَاءً مِنْ نَوَالِكُمْ
فَحَقٌّ مِنْكُمْ لِأَهْلِ الشَّعْرِ تَزْيِيدُ
(٣) لَكُمْ خَلَقْنَا وَلَمْ نُخْلَقْ لَأَنْفُسِنَا
فَإِنَّمَا نَحْنُ تَحْمِيدٌ وَتَمَجِيدُ
(٤) يَا صَاحِبَ الْمَجْدِ إِنَّ الْمَجْدَ سَائِمَةٌ
تَضِلُّ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِالشَّعْرِ تَقْيِيدُ
(٥) خُذْنِي بِمَا شِئْتَ مِنْ غُرَاءَ شَارِدَةٍ
يُصْغِي الْأَصَمُّ إِلَيْهَا وَهُوَ مَفْؤُودُ
(٦) وَأَعْذُرْ بِتَقْصِيرِهِ مَنْ لَا يَزَالُ لَهُ
فِي سَاقَةِ الرِّزْقِ إِرْقَالٌ وَتَوَخِيدُ^(١)
(٧) لَا يُدْرِكُ الْقُوتَ مِمَّا أَنْتَ وَاهِبُهُ
حَتَّى يَطُولَ مِنَ الْعُمَالِ تَنْكِيدُ

(١) الإرقال : ضرب من العدو فوق الخبب وقيل : الإسراع ، يقال : أرقل القوم إلى الحرب إرقالاً ، أسرعوا .

توخيد : الوخذ : ضرب من سير الأبل ، وهو سعة الخطو في المشي .

(٨) وَلَيْسَ لِلشَّعْرِ إِلَّا خَاطِرٌ يَقْظُ

يَهْزُهُ مِنْكَ تَرْفِيَةٌ وَتَأْيِيدُ

(٩) وَمَا الْمَدَائِحُ إِلَّا بِالْمُلُوكِ وَهَلْ

يُبْدِي سَنَا الْعِقْدِ إِلَّا النَّحْرُ وَالْجِيدُ

التخريج :

القصيدة بتمامها في :

الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٥٠٣ .

﴿٢١﴾

﴿المنسرح﴾

وقال :

(١) كَأَنَّمَا الشَّمْعَتَانِ إِذِ سَمَتَا

خَدُّ (١) غُلَامٍ مُحَسَّنٍ (٢) الْغَيْدِ

(٢) وَفِي حَشَا النَّهْرِ (٣) مِنْ شُعَاعَهُمَا

طَرِيقُ نَارِ الْهَوَى إِلَى كَبِدِي

التخريج :

البيتان في : القلائد ج ٤ ، ص ٧٦٧-٧٦٨ ، والخريدة ج ٢ ، ص ٩٦ ، والبغية ص ٣٧٤ ط / مجريط ، والبدائع ص ٢٥٥ ، ومخطوطة مسالك الأبصار ج ١١ ، ق ١ ، ورقة رقم ٢١٩ ، والنفح ج ١ ، ص ٦٥٧ .

المناسبة :

قال صاحب القلائد ، ج ٤ ، ص ٧٦٧-٧٦٨ : «...أنه - أي عبد الجليل بن وهب - ركب ياشيلية زورقاً في النهر الذي لا تدانيه السراة ، ولا يضاهيه الفرات ، في ليلة تنقبت بظلماتها ، ولم يلمح قمر في سمائها ، وبين أيديهم شمعتان ، قد انعكس شعاعهما في اللجة ، وزاد في تلك البهجة ، فارتجل البيتين السالفين .

(١) في البغية ، والبدائع ، والنفح : خد .

(٢) في البدائع : مجانس .

(٣) في البغية والمسالك : الماء .

﴿٢٢﴾

﴿البسيط﴾

وقال يمدح الرشيد بن المهتمد :

- (١) لَوْلَا تَبَسُّمُ ذَاكَ الظَّلَمِ وَالْبَرْدِ
قَبِلْتُ نَصْحَكَ إِلَّا فِي هَوَى الْغَيْدِ
(٢) بَلْ لَا أَطِيعُكَ فِي غُصْنِ أَهِيمٍ بِهِ
كَأَنَّهُ نَابِتٌ فِي طَيِّ مُعْتَقِدِي
(٣) وَأَيْنَ بِي وَبِصَبْرِي عَنْ جَفُونِ رَشَا
غَوَامِضِ السَّحَرِ لَا يَنْفُثْنَ فِي الْعُقَدِ
(٤) بَعْدِي عَلَى اللَّوْمِ قَلْبِي وَهِيَ تَوْلَمُهُ
كَمَا تَضُرُّ كَمِيًّا شَكَّةُ الزَّرْدِ

ومن قصيدة عبد الجليل حيث يقول :

- (٥) قُلْ لِلرَّشِيدِ وَقَدْ هَبَّتْ نَوَافِحُهَا
أَسْرَفَتْ يَادِيمَةَ الْمَعْرُوفِ فَاقْتَصِدِي
(٦) أَشْكُو إِلَيْكَ النَّدَى مِنْ حَيْثُ أَحْمَدُهُ
لَوْ فَاضَ فَيْضًا عَلَيَّ الْبَحْرُ لَمْ يَزِدْ^(١)

(١) قال ابن بسام : « وأخبرني من لا أريد خبره أنه دخل على عبد الجليل يوماً وقد تطاول حتى كاد يمس رأسه السماء ، فقال له : قد أتيت بيت فلم أزد ، وما أحسب حسنه لأحد ، وأنشد هذا البيت ، قال الحاكي : فقلت له : فأين أنت من قول أبي عباد :

تَنْصَبُ الْبَرْقُ مَخْتَالًا فَقُلْتُ لَهُ لَوْ جُدْتَ جُودَ بَنِي يَزْدَادَ لَمْ تَزِدْ

قال : فبدا عبوسه ، وتضاءل حتى كادت أدوسه ، وقال كسرتني والله ، لو خطر هذا على بالي ما قلت ذلك » ، انظر الذخيرة ق ٢ ، م ٤٩٩/١ .

وفيها يقول :

(٧) يَا قَاتِلَ الشُّكْرِ بِالْإِحْسَانِ يَوْمَهُ

مَهْلًا أَمَا لِقَتِيلِ الْجُودِ مِنْ قَوْدِ

(٨) عَجِبْتُ مِنْ كَرَمٍ فِي رَاحَتِكَ بَدَا

إِشْرَاقُهُ كَيْفَ لَمْ يُعْزَلِ إِلَى الْفَنَدِ

(٩) جَادَتْ سَحَابُكَ إِذْ جَادَتْ عَلَى أَمْلِي

فَقَالَ أَشْيَاعُهَا جَادَتْ عَلَى بَلَدِ

(١٠) أَثَرِيْتُ عِنْدَكَ مِنْ جَاهٍ وَمِنْ نَشَبِ

حَتَّى وَجَدْتُ الْغِنَى فِي هِمَّتِي وَيَدِي

(١١) يَا وَاحِدًا تَقْتَضِي آلَاؤُهُ جُمْلًا

بَرَحْتُ بِي وَبِنَظْمِ الشَّكْلِ فَاتَّيَدُ

(١٢) لِلنَّاسِ بَعْدَكَ فِي الْعَالِيَا مَنَازِلُهُمْ

وَالْوَاحِدُ الْفَرْدُ يَحْوِي مَبْدَأَ الْعَدَدِ

(١٣) يُدْعَى الرَّشِيدُ وَلَمْ تُعَدَمْ بِهِ صِفَةٌ

يَأْمَنُ هُوَ الْفَصْلُ بَيْنَ الْغِيِّ وَالرَّشْدِ

(١٤) لَكَ الرَّشَادَةُ أَخْلَاقًا وَتَسْمِيَةً

مِثْلَ الْبَسَالَةِ إِذْ تُعْزَى إِلَى الْأَسَدِ

(١٥) أَيُّ الْفَضَائِلِ تَسْتَوْفِيهِ مَكْتَهَلًا

وَذَا شَبَابِكَ قَدْ أَرَبَى عَلَى الْأَمَدِ

(١٦) بَادَهْتَنِي ^(١) بِأَيَادٍ لَا يَقُومُ بِهَا

مَا فِي لِسَانِي مِنْ قَصْدٍ وَمِنْ لَدَدٍ

(١٧) عَادَ الزَّمَانُ بِمَا أَوْلَيْتَنِي غُصْنًا

غَضًا فَقُمْتُ مَقَامَ الطَّائِرِ الْغَرْدِ

(١٨) مَا عُذْرُ طَبْعِي أَنْ يَنْبُو وَمَا تَرَكْتُ

بِهِ أَيَادِيكَ مِنْ أُمَّتٍ وَمِنْ أَوْدٍ ^(٢)

التخريج:

القصيدة بتمامها في الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٤٩٨ - ٥٠٠ ، والبيتان ٥-٦ في مخطوطة مسالك الأبصار ج ١١ ، ق ١ ، ورقة رقم ٢٢٥ .

(١) بادهتني : باغتني .

(٢) أُمَّتٍ : الأُمَّتُ : فتور واسترخاء .. أَوْدٍ : الأود : العوج .

﴿ ٢٣ ﴾

﴿ البسيط ﴾

وقال يمدح المحتمد بن عباد :

- (١) قَالُوا صَحَا وَأَدَالَ الْغَيَّ بِالرَّشْدِ
 مَنْ لِي بِذَاكَ الصَّبَا فِي ذَلِكَ الْفَنَدِ
 (٢) لَنْ صَحَوْتُ فَعَنْ كُرْهِ وَقَدْ عَلِمُوا
 بِأَيِّ عِلْقٍ مِنَ الدُّنْيَا فَتَحَتْ يَدِي (١)
 (٣) لَمْ يَقْصِدِ الْمَدَّهْرُ إِصْلَاحِي وَلِي مِثْلُ
 فِي الْغُصْنِ تَذَهَبُ عَنْهُ صُورَةُ الْغَيْدِ

ومنها :

- (٤) طَوَى الزَّمَانُ لَيَّالٍ نَعِمْتُ بِهَا
 رَنَا بِعَيْنِ الرِّضَا مِنْهَا وَلَمْ يَكْدِ
 (٥) وَقَاتَلَ اللَّهُ أَدْوَارَ السِّنِينَ فَكَمْ
 مَزَجَنَ بِالسُّمِّ مَا أَحْلَوْلَى مِنَ الشَّهْدِ
 (٦) لَمْ يَرْسُمِ الشَّيْبُ فِي فَوْدِي خُطَّتَهُ
 إِلَّا تَرَحَّلَتِ اللَّذَاتُ مِنْ خَلْدِي
 (٧) ضَيْفُ الْوَقَارِ أَفَدَنَا مِنْهُ تَكْرِمَةٌ
 بِمَا تَشَقَّفُ مِنْ أَمْتٍ وَمِنْ أَوْدِ
 (٨) وَأَسْمَرُ الْخَطِّ لَا تَبْدُو فَضِيلَتُهُ
 بَغَيْرِ أَزْرَقٍ كَالنَّبْرَاسِ مُتَّقَدِ

(١) العلق : بالكسر : النفيس من كل شيء ، والعلق أيضا : الخمر لنفاستها ، وقيل : هي القديمة منها .

(٩) لِلدَّهْرِ عِنْدِي بَنَاتٌ مِنْ تَجَارِبِهِ

أُولَى وَأَجْدَرُ بِي مِنْ بَيَضِهَا الْخُرْدُ^(١)

(١٠) الْحُرَيْرُ زَا إِلَّا فَضْلُ شِمْتِهِ

وَأَنْ تَقْلَبَ بَيْنَ الْبُؤْسِ وَالنَّكَدِ

(١١) وَمَا الْغِنَى فِي يَدٍ مَمْلُوءَةٍ عَرْضاً

لَكِنَّهُ فِي وَفُورِ الْعَزْمِ وَالْجَلَدِ

(١٢) أَوْ فِي رِجَاءٍ^(٢) ابْنِ عِبَادٍ وَقَدْ رَغِبْتَ

أَيْدِي الْمُلُوكِ عَنِ الْإِفْضَالِ وَالصَّفَدِ^(٣)

(١٣) اسْتَوْتَقَ النَّاسُ مِمَّا فِي أَكْفِهِمْ

وَرَبَّمَا نَفَثُوا بُخْلًا عَلَى الْعُقَدِ

(١٤) وَلَا يُرَى الْعَقْدُ إِلَّا فِي أَذْمَتِهِ

وَمَا حَوْتُهُ يَدَاهُ غَيْرَ مُنْعَقِدٍ

(١٥) بَقِيَّةُ الْفَضْلِ فِي دُنْيَا قَدْ ارْتَضَعَتْ

وَرَحْمَةُ اللَّهِ فِي سُلْطَانِهِ النِّكَدِ

(١٦) مُسْتَجْمَعُ الْفِكْرِ لَا يَنْحُو مُعَانِدَهُ

عَلَى بَوَائِدٍ مِنْ أَرَائِهِ بَدَدٍ

(١٧) إِذَا اسْتَخَفَّتْ حُلُومُ الْقَوْمِ وَقَرَّهَا

يَقْظَانُ يَسْعَى إِلَيْهِمْ سَعْيٌ مُتَدِّدٍ

(١٨) يَكْفِي الْمُؤَيَّدَ فِي الْأَعْدَاءِ أَنْ لَهُ

عَيْنًا مِنَ اللَّهِ لَا تَغْفَى مِنَ الرِّصَدِ

(١) الخرد : جمع خريدة وهي البكر التي لم تمس قط .

(٢) لعل الأصوب حذف الهمزة مراعاة للموسيقى .

(٣) الصفد : العطاء .

(١٩) تَلَقَى بِهِ صَلَّ^(١) أَصْلَالٍ وَآيَتْهُ

أَنْ تَسْتَبِينَ عَلَيْهِ قِشْرَةَ الزَّرْدِ

(٢٠) وَمَا تَمُرُّ بِأَدَهَى مِنْ لِيُوثٍ وَغَى

يَتَبَعْنَ مِنْهُ أَبَاناً وَأَفِرَّ اللَّبَدِ

(٢١) يَجُرُّ مِنْ شَجَرِ الْخِطِيِّ غَابَتَهُ

وَذَاكَ مَا لَمْ تَسَعُهُ عَزْمَةُ الْأَسَدِ

ومنها :

(٢٢) جَارَيْتُمُ الدَّهْرَ فِي مِضْمَارِ حَلْبَتِهَا

جَرِيّاً سَوَاءً إِلَى أَقْصَى مِنْ الْأَمَدِ

(٢٣) لَكِنْ تَحِيَّتُهَا قَدْماً وَقَدْ شَهِدَتْ

«يَادَارُ مَيَّةً بِالْعُلَيَاءِ فَالْسِّنْدِ»^(٢)

(٢٤) لَخُمُ ابْنِ يَعْزَبَ أَوْلَى أَنْ يُضَافَ إِلَى

سَنَاءٍ مُعْتَضِدٍ فِيكُمْ وَمُعْتَمِدِ

(٢٥) أَنْتَ الْجَمِيعُ وَأَنْتَ الْفَرْدُ قَدْ عَلِمُوا

سَرِيرَةً لَمْ تَكُنْ فِي وَاحِدِ الْعَدَدِ

ومنها :

(٢٦) يَا أَشْبَهَ النَّاسِ آدَاباً بِمَالِكَ مِنْ

جَمَالٍ وَجَهٍ تُحَدِّثُنِي وَفَضْلٍ يَدِ

(٢٧) مِنْ أَيْنَ لِي قَدَمٌ فِي الْفَضْلِ سَابِقَةً

لَوْ أَنَّ طَبْعِي فِي وَادِيكَ لَمْ يَرِدْ

(١) صل : الصل هو السيف القاطع وجمعه : أصلال .
(٢) صدر بيت للنابغة من معلقته وعجزه : (أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبَدِ) .

(٢٨) هَذَا الْآتِيُّ ^(١) لَذَاكَ الْمُزْنِ مُنْتَسِبٌ

عَارِي الْأَدِيمِ مِنَ الْإِقْدَاءِ وَالزَّبَدِ

(٢٩) أَرْسَلْتُهَا فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ طَائِرَةً

عَنْ غَيْرِ جُهْدٍ وَفِيهَا مُتَعَةٌ الْأَبَدِ

(٣٠) تُصْحِي النُّهَى أَبَدًا مِنْ حَيْثُ تُسَكِّرُهَا

وَتُسْمِعُ اللَّحْظَ صَوْتَ الْبُلْبُلِ الْغَرَدِ

(٣١) لَوْ أَنَّ لَقِمَانَ يُعْطَى عُمْرُهَا بِكَ لَمْ

« يُخْنِ عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ » ^(٢)

(٣٢) طَبَعَتْهَا وَلَكَ التَّبَرُّ الَّذِي طُبِعَتْ

مِنْهُ فَأَسْلَمْتُهَا ^(٣) فِي كَفِّ مُنْتَقِدٍ

التخريج :

القصيدية بتمامها في :

الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٥٠٠-٥٠٢ .

(١) الآتي : النهر يسوقه الرجل إلى أرضه ، وكل مسيل سهله لماء آتي .

(٢) يخن : يطول وهو من أخنى عليه الدهر أي : طال .

لبد : اسم آخر نسور لقمان بن عاد ، سماه بذلك لأنه لبد فبقي لا يذهب ولا يموت وترغم العرب أن

هذا الحكيم بقي بقاء الأنسر السبعة ، ومات بموت آخرها لبد الذي عمر مائتي سنة .

وقوله : « يخن عليها الذي أخنى على لبد » نظر فيه إلى قول النابغة الذبياني في معلقته .

أُمسَتْ خِلاَءَ وَأَمْسَى أَهْلُهَا أَحْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لَبْدٍ

انظر : ديوان النابغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، ص ١٦ .

(٣) هكذا في الذخيرة [فأسلمتها] ، ولعل الصواب حذف الهمزة مراعاة للموسيقى .

﴿ ٢٤ ﴾

﴿ الكامل ﴾

- (١) إِنْ سِرْتُ عَنْكَ فَفِي يَدَيْكَ قِيَادِي
 أَوْ ^(١) بِنْتُ مِنْكَ فَمَا يُبِينُ فُؤَادِي
- (٢) صَيَّرْتُ فِكْرِي فِي بَعَادِكَ مُؤْنَسِي
 وَجَعَلْتُ لِحَظِي مِنْ بَعَادِكَ ^(٢) زَادِي
- (٣) وَعَلَيَّ أَنْ أُذْرِي دَمْعِي إِنْ أَنَا
 أَبْصَرْتُ شِبْهَكَ فِي سَبِيلِ بَعَادِي
- (٤) كَمْ فِي طَرِيقِي مِنْ قَضِيبٍ يَافِعٍ
 أَبْكِي عَلَيْهِ وَمِنْ صَبَاحٍ بَادِي
- (٥) تَلْقَاكَ فِي طَيِّ النَّسِيمِ تَحِيَّتِي
 وَيَصْرُبُ فِي دِيمِ الْغَمَامِ وَدَادِي

التخريج:

الآيات في القلائد ج ٤ ، ص ٧٧١-٧٧٢ ، والخريدة ج ٢ ، ص ٩٧ .

المناسبة:

قال صاحب القلائد ، ج ٤ ، ص ٧٧١ : « ... فعلق بغيام ياشيلية علاقة لم تدع له مجالاً ، ولم تبق له روية ولا ارتجالاً ، فبينما هو يستدني منه عطفة المساعد ، ويجتني زهرات المنى بسانحات المواعد ، سنحت له رحلة ما أمهلت ، ولا راعه منها إلا كلُّ لوعة أذهلته ، فقال وما عطل من حلِّي الإبداع ذلك المقال الآيات السالفة .

(١) في القلائد : وإن ، وأثبتنا هنا رواية الخريدة إذ بها يستقيم وزن البيت .

(٢) في الخريدة : وداعك وهو أليق بالسياق .

﴿٢٥﴾

﴿الخفيف﴾

وقال يصفه فرنا :

(١) رُبَّ فَرْنٍ رَأَيْتُهُ يَتَلَطَّى

وَرَبِيعٌ مُخَالِطِي وَعَقِيدِي

(٢) قَالَ : شَبَّهَهُ ؟ قُلْتُ صَدْرَ حُسُودِ

خَالِطُهُ ^(١) مَكَارِمِ الْمَحْسُودِ

التخريج :

البيتان في القلائد ج ٤ ، ص ٧٧٣ ، والخريدة ج ٢ ، ص ٩٧ ، والبغية ص ٣٧٥ ط/مجريط ، ومخطوطة مسالك الأبصار ، ج ١١ ، ق ١ ، ورقة رقم ٢٢٠ . ومخطوط الأسكوريال : ٤٨٨ ، ورقة رقم ١٠٣ .

المناسبة :

قال صاحب القلائد ، ج ٤ ، ص ٧٧٣ : « وله وقد اجتاز على فرن ويده مرتبطة بيد أحد فتيان إشبيلية يسمى ربيعاً ، فقال له : صف لي هذا الفرن فارتجل البيتين السالفين .

(١) في البغية : خالطا .



﴿ ٢٦ ﴾

﴿ الطويل ﴾

وقال يصفه جرشفة (١) :

- (١) وَحَرَشَفَةٌ إِنْ كُنْتَ ذَا قُدْرَةٍ عَلَى
نُفُوزٍ إِلَى ذَاكَ الْجَنَى الْحُلُوفَانْفُذِ
(٢) كَأَنِّي قَدْ تَوَجَّتُ^(٢) مِنْهَا بَيْضَةً
وَقَدْ وُضِعَتْ لِلصَّوْنِ فِي جِلْدٍ قُنْفُذِ

التخريج :

البيتان في القلائد ج ٤ ، ص ٧٧٤ ، والخريدة ج ٢ ، ص ١٠٣ .

(١) جرشفة : الحرشف نبت ، وقيل : نبت عريض الورق ، قال الأزهري : « رأيت في البادية » ، انظر : لسان العرب ، (حشف) .

وجاء في المعجم الوسيط : « جنس نبات خشن من الفصيلة المركبة » . ويقال له خرشف وهو : « نبات من الفصيلة المركبة الأنبوية الزهر ، في طرفه ثمرة مغلفة بأوراق يطهى ويؤكل » . انظر المعجم الوسيط (حشف) .

(٢) في القلائد : قد توجهت ، ولعل ما أثبتاه هو الصواب .



﴿ ٢٧ ﴾

﴿المقارب﴾

وقال في غلام :

- (١) بِسُوقِ الْخِيَاطَةِ مُسْتَمِرِدٌ
تَوَدُّ لِمَنْ أَلْفَ خَيْرٍ
- (٢) وَأَشْهَدُ أَنَّ الْفَتَى صَانِعٌ
لِطُوقِ عِجَانٍ عَلَى عُنُقٍ

التخریج :

البيتان في :

الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٢٨٦ .

﴿٢٨﴾

﴿البسيط﴾

وقال :

(١) أَتُنْكِرُ الْعُجْمُ أَنَّ الْعُرْبَ سَادَتْهَا

وَتَشْهَدُ الْبَيْضُ وَالْخَطِيبَةُ السُّمُرُ

(٢) لَمَّا تَعَارَضَ دُونَ الشُّكْرِ كُفْرُهُمْ

عَادَتْ بِوَادِرٍ فِيهِمْ تِلْكَمُ الْبَدَرُ

(٣) وَهَبَّ عَنْ كُلِّ دِينَارٍ لَهُمْ بَطْلُ

كَخَالِصِ التَّبَرِ مَسْبُوكٍ وَمُخْتَبَرُ

(٤) فَلْيَقْبَلُوهَا أُلُوفًا مِنْ أَسْوَدٍ وَغَى

تَزَكُّو عَلَى السُّبْكِ لَا جُبْنَ وَلَا خَوْرُ

(٥) وَلْيَرْقُبُوا مِنْ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ^(١) وَمِنْ

مُؤَيَّدِ الدِّينِ لَيْلًا مَالَهُ سَحَرُ

(٦) لَمْ يَهْشَمُوا الثَّغَرَ إِذْ عَاثَتْ أَكْفُهُمْ

لَوْ يَعْقِلُونَ وَلَكِنْ تِلْكَمُ الثُّغَرُ

(٧) وَلَيْسَ مَا غَيَّرُوا إِلَّا لِأَنْفُسِهِمْ

كَأَنَّمَا نَبَهُوا إِذْ نَامَتِ الْغِيرُ

التخريج :

القصيدة بتمامها في : الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٢٥٥ .

المناسبة :

قال ابن بسام في الذخيرة ق ٢ ، م ١ ، ص ٢٥٣ وما بعدها : « ولما كلب العدو - قصمه الله - في ذلك التاريخ ، وأعضل دأؤه ، وجعل يطأ بلاد المسلمين ، آمناً لا يخاف ، وأنسا لا يتوحش ، مقدماً لا يكع ، ومجتزئاً لا يرتدع ... ولما لم يبق إلا نفس خافت ، ورمق زاهق ، ورأى المسلمون أنهم بالجزيرة على طرف ، وفي سبيل تمام وتلف ، استصرخوا أمير المسلمين وناصر الدين ، أبا يعقوب بن تاشفين - رحمه الله - فأجاز إلى جزيرة الأندلس في صدر سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وبادر بنفسه وجماعته عجالاً ، وتداركوها ركباناً ورجالا ، ونفروا نحوها خفافاً وثقالاً والبجع يقدمهم والفلج يصحبهم ، فكان من الفتح يوم الجمعة المؤرخ ما كان : صرع الله فيه عبدة الطواغيت ، ووفد عليه عوضاً من آلاف دنائير الأموال ، ضعفهم من الفرسان الأبطال ، ففي ذلك يقول عبد الجليل من جملة قصيدة « الأبيات السالفة » .

﴿٢٩﴾

﴿البسيط﴾

و قال يصفه جواز ابن عباد البحر المحيط للاستنجاك بابن تاشفين :

(١) عَزَمَ تَجَرَّدَ فِيهِ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ

وَفِكْرَةٌ خَمَدَتْ مِنْ تَحْتِهَا الْفِكْرُ

وقال فيها :

(٢) رَكِبْتَ فِي اللَّهِ حَتَّى الْبَحْرِ حِينَ ^(١) طَمَأَ

أَذْيُهُ وَبَسَوطِ الرِّيحِ يَنْحَسِرُ

(٣) طَرَفٌ يَزِلُّ عَلَيْهِ سَرَجٌ فَارِسِهِ

وَلَيْسَ مِمَّا تَضُمُّ الْحَزْمُ وَالْعُذْرُ ^(٢)

(٤) كَانَ رَاكِبَهُ فِي مَتْنِ ذِي لُبَدٍ

غَضَبَانُ تَقْدَحُ مِنْ أَنْفَاسِهِ الشَّرُّ

(٥) حَمَلْتَ نَفْسَكَ فِيهِ فَوْقَ دَاهِيَةٍ

دَهِيَاءُ لَا مَلْجَأَ مِنْهَا وَلَا وَزَرَ

(٦) عُذِرْتَ لَوْ أَنَّه مَيْدَانُ مَعْرَكَةٍ

يَسْمُو لَهُ رَهَجٌ فِي الْجَوِّ مُنْتَشِرٌ

(٧) فِي حَيْثُ لِلْكَرِّ وَالْإِقْدَامِ مُضْطَرَبٌ

وَحَيْثُ تَمْلِكُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُ

(١) في المسالك : حيث .

(٢) الحزم : جمع مفردة حزام وهو : ما يحزم به الفرس .

العدر : جمع عذار وهو ما سال على الخد من اللجام .

(٨) عَسَاكَ خِلْتَ حُبَابَ الْمَاءِ مِنْ زَرْدٍ

تَعَوَّدَ الْخَوْضُ فِيهِ طَرْفُكَ الْأَثَرُ

(٩) أَوْ قُلْتَ فِي الْمَوْجِ خُرْصَانَ مُعْرِضَةً

تُحَارِبُ الْجَيْشَ أَوْ مَصْقُولَةً بَتْرُ^(١)

(١٠) هِيَ الْبَسَالَةُ إِلَّا أَنَّهَا سَرَفٌ

تَنْفِي الْحَذَارِ ، وَمِمَّا يُؤْثَرُ الْحَذَرُ

(١١) لَا تَحْمِلِ الدِّينَ وَالْدُنْيَا عَلَى خَطَرٍ

وَلَيْسَ يُحَمَّدُ فِي أَمْثَالِكَ الْغَرَرُ

(١٢) إِنْ كَانَ ثَوْبُكَ مُخْتَصَاً بِلَابِسِهِ

فَقَدْ تَعَلَّقَ مِنْ أَذْيَالِهِ الْبَشَرُ

(١٣) هَلَّا رَحِمْتَ نَفُوساً حَامَ حَائِمُهَا

عَلَيْكَ وَاسْتَوَلَتِ الْأَشْوَاقُ وَالذِّكْرُ

(١٤) وَعَادَ أَجْبَنُهَا مَنْ كَانَ أَشْجَعُهَا

شُحّاً عَلَيْكَ وَأَحْيَا لَيْلَهُ السَّهَرُ

(١٥) إِنَّا لَفِي حِمَصٍ^(٢) نَسْتَقْرِى مَحَاضِرَهَا

وَلِلْقُلُوبِ بِذَاكَ اللَّجُّ مُحْتَضَرُ

(١) خُرْصَان : جمع مفردة خُرْص ، والخرص : القنا ، وقيل : السنان .

(٢) حِمَص : يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان ج ٢ ، ص ٣٠٤ : « وحمص أيضاً بالأندلس ، وهم يسمون مدينة إشبيلية حمص ، وذلك أن بني أمية لما حصلوا بالأندلس وملكوها سموها عدة مدن بها بأسماء مدن الشام ، وقال ابن بسام : دخل جند من حمص إلى الأندلس فسكنوا إشبيلية فسميت بهم » .

انظر معجم البلدان ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

(١٦) لَا نُحْسِنُ الظَّنَّ إِشْفَاقًا وَقَدْ ضَمِنْتُ

لَنَا مَسَاعِيكَ أَنْ يَعْنُو لَكَ الْقَدَرُ

(١٧) كَأَنَّمَا النَّهْرُ لَمَّا سَرَتْ سَارَ إِلَى

ذَاكَ الْمَجَازِ فَأَجْرَى فُلُوكُكَ النَّهْرُ

(١٨) هَوَ الْأَجَاجُ وَحَقٌّ أَنْ يُقَالَ لَهُ

مَنْ حَيْثُ وَاتَاكَ عَذْبٌ سَلْسَلٌ خَضِرٌ^(١)

(١٩) كَأَنَّمَا قُمْتَ بِالْجِدْوَى تُسَاجِلُهُ

فَنَالَهُ دَهْشٌ أَوْ نَابَهُ حَصَرٌ

(٢٠) أَحَاطَ جُودُكَ بِالدُّنْيَا فَلَيْسَ لَهُ

إِلَّا الْمُحِيطُ مِثَالُ حِينَ يُعْتَبَرُ

(٢١) وَمَا حَسِبْتَ بِأَنَّ الْكُلَّ يَحْمِلُهُ

بَعْضٌ وَلَا كَامِلًا يَحْوِيهِ مُخْتَصِرٌ

(٢٢) لَمْ تَشْنِ عَنْكَ يَدًا أَرْجَاءُ ضَفَّتْهُ

إِلَّا وَمَدَّتْ يَدًا أَرْجَاؤُهُ الْأُخْرَى

(٢٣) تَوَاصَلَ اللَّحْظُ حَسْرَى مِنْ هُنَا وَهُنَا

وَلَيْسَ غَيْرَ الدُّعَاءِ الْجِصُّ وَالْحَجَرُ

(٢٤) فَصَرْتُ^(٢) فَوْقَ دِفَاعِ اللَّهِ تَهْصُرُهُ

بِرَاحَةِ الْبِرِّ^(٣) وَالتَّقْوَى فَيَنْهَصِرُ

(١) هذا البيت لم يرد في الذخيرة .

(٢) في الذخيرة ق ٤ ، م ١ والغيث المسجم : فسرت . والرواية التي اعتمدتها هي رواية الذخيرة ق ٢ ، م ١ ، ص ٥٠٥ .

(٣) في الذخيرة ق ٤ . م ١ ، والغيث المسجم : الدين ، والرواية المعتمدة هي رواية الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٥٠٥ .

(٢٥) كَأَنَّمَا كَانَ ^(١) عَيْنًا أَنْتَ نَاضِرُهَا

وَكُلُّ شَطِّ بِأَشْخَاصِ الْوَرَى شُفْرُ

(٢٦) تَأْتِي الْبِلَادُ فَتَنْدِي مِنْكَ أَوْجُهُهَا

حَتَّى يَقُولَ ثَرَاهَا هَلْ هَمِي الْمَطَرُ

(٢٧) مَا الْقَفْرُ ^(٢) إِلَّا مَكَانٌ لَا تَحُلُّ بِهِ

وَحَيْثُمَا سَرَتْ سَارَ الْبَدُو وَالْحَضَرُ

(٢٨) الْأَرْضُ دَارُكَ فَاسْلُكْ حَيْثُ شِئْتَ بِهَا

هُوَ الْمَقَامُ وَإِنْ قَالُوا هُوَ السَّفَرُ

التخريج :

الأبيات في الذخيرة ق ٢ ، م ١ ، ص ٥٠٣-٥٠٥ ما عدا الأبيات : ١٨-٢٦-
 ٢٧-٢٨ ، والبيتان ٢٤-٢٥ في الذخيرة ق ٤ ، م ١ ، ص ١٠٦ ، والبيت ٢٥ في المختار
 من شعر شعراء الأندلس ص ٣١ ، والأبيات : ٢٠-٢١-٢٢-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨ في
 الخريدة ج ٢ ، ص ١٠١-١٠٢ ، والبيت ٢٥ في الخريدة ج ٢ ، ص ٩٥ والأبيات : ٢٠-
 ٢١-٢٢-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨ في المطرب ص ١١٩ ، والبيت ٢٥ في المطرب
 ص ١٢٦ ، والأبيات ٢-٣-٤-٦-٧-٨-٩-١٢-١٧-١٩-٢٠-٢١-٢٢ في
 مخطوطة مسالك الأبصار ج ١١ ، ق ١ ، ورقة رقم ٢٢١ ، ٢٢٢ ، والبيتان : ١٨-٢٥ في
 المسالك ج ١١ ، ق ١ ، ورقة رقم ٢٢٥ ، والبيتان ٢٤-٢٥ في الغيث المسجم ج ٢ ،
 ص ٢٧٢ .

المناسبة :

قال صاحب المطرب ص ١١٩ : « ولما جاز السلطان ابن عباد البحر المسمى
 بالمحيط إلى مدينة سبته ، قاصداً لأمير المسلمين ، وناصر الدين أبي يعقوب يوسف بن
 تاشفين للاستنجد به على الروم ، وقد راموا الوثوب على الأندلس ، بعد أخذ طليطلة ،
 وهجموا على بلادها أقبح هجوم قال الأبيات السالفة .

(١) في مختارات ابن الصيرفي ، والخريدة ، والمطرب ، والمسالك : كأنما البحر عين .

(٢) في الخريدة : الفقر ، ولعلها تصحيف .

﴿ ٣٠ ﴾

﴿ الوافر ﴾

وقال يصفه البحر:

(١) أَلَمْ تَرَ لِلْجَزِيرَةِ كَيْفَ أَوْفَى

عَلَيْهَا مِثْلُ مَا انْعَطَفَ السَّوَارُ

(٢) أَعَدَّ بِهَا عَلَى شَاطِئِهِ دَسْتًا^(١)وَمَدَّ يَدًا إِلَيْكَ بِهَا يُشَارُ^(٢)(٣) فَإِنْ تَقَبَّلَ^(٣) تَحِيَّتَهُ فَأَجْدَرُ^(٤)فَرُبُّتَمَا^(٥) تَوَاصَلَتِ الْبَحَارُ(٤) تُحِيطُ^(٦) كَمَا يُحِيطُ بِهَا وَلَكِنْ

لَسِمَطِ الدَّرِّ فِي الْعُنُقِ افْتِخَارُ

التخريج:

الآيات في الروض المعطار ص ٣٤٤ ، وصفة جزيرة الأندلس ص ١١١ .

المناسبة:

قال صاحب الروض المعطار ص ٣٤٤ : « وفي صفة استدارة البحر بهذه الجزيرة

- شَلْطِيش - يقول عبد الجليل من قصيدة يمدح بها المَعْتَمِدُ بن عباد : الآيات السالفة.

(١) في صفة جزيرة الأندلس : رسيا.

دستاً : الدست والذشت : الصحراء ، وهي كلمة فارسية معربة.

(٢) في صفة جزيرة الأندلس : يسار.

(٣) في صفة جزيرة الأندلس : يقبل.

(٤) في صفة جزيرة الأندلس : فأحذر.

(٥) في الروض المعطار : وربما وأثبتنا هنا رواية صفة جزيرة الأندلس إذ بها يستقيم الوزن.

(٦) في صفة جزيرة الأندلس : يحيط.

﴿٣١﴾

﴿الطويل﴾

و قال يصف الحرباء :

(١) بِقَلْبٍ كَحِرْبَاءِ الظَّهِيرَةِ لَا يَنِي^(١)

مَعَ^(٢) الشَّمْسِ مِنْ ذَاكَ الشُّعَاعِ يَدُورُ^(٣)

التخريج :

البيت في الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ١٦٩ ، والذخيرة ، ق ٣ ، م ٢ ، ص ٥٧٥ .

(١) في الذخيرة ق ٣ م ٢ : ترتمي .

(٢) في الذخيرة ق ٣ م ٢ : إلى .

(٣) في الذخيرة ق ٣ م ٢ : تدور .

﴿ ٣٢ ﴾

﴿ الطويل ﴾

وقال :

(١) قَضَى اللَّهُ أَنِّي فِي الشَّنَاءِ عَلَيْكُمْ

زِيَادٌ^(١) وَأَنِّي فِي الْوَفَاءِ قَصِيرٌ^(٢)

التخريج :

البيت في الذخيرة ق ٣ ، م ٢ ، ص ٦٦٨ .

(١) زياد : هو التابعه الذبياني .

(٢) قصير : هو قصير بن سعد بن عمرو اللخمي أحد رجال القصة المشهورة في انتقام عمرو بن عدي من « الزباء » في الجاهلية ، كان صاحب رأي ودهاء .
انظر : الأعلام للزركلي ج ٥ ، ص ١٩٩ .

﴿ ٣٣ ﴾

﴿ الكامل ﴾

وقال في غلام :

(١) زَعَمُوا الْغَزَالَ حَكَاهُ قُلْتُ لَهُمْ : نَعَمْ

فِي صَدِّهِ عَنْ عَاشِقِيهِ وَهَجَرِهِ

(٢) قَالُوا : الْهَلَالُ شَبِيهُهُ فَأَجَبْتُهُمْ

إِنْ كَانَ قَيْسٌ إِلَى قَلَامَةِ ظُفْرِهِ

(٣) وَكَذَا يَقُولُونَ : الْمُدَامُ كَرِيْقِهِ

يَا رَبُّ لَا عَلِمُوا ^(١) مَذَاقَةَ ثَغْرِهِ ^(٢)

التخريج :

الآيات في الخريدة ج ٢ ، ص ٩٦ ، ومخطوطة مسالك الأبصار ج ١١ ، ق ١ ، ورقة ٢٢٥ ، والفوات ج ٢ ، ص ٢٥١ ، ومخطوطة عقود الجمان ورقة ١٣٣ ، ونفح الطيب ج ٤ ، ص ١٠٢ .

(١) في نفح الطيب : ما علموا .

(٢) في المسالك : ريقه .

﴿٣٤﴾

﴿الطويل﴾

وقال في غلام :

(١) سَقَى فَسَقَى اللهَ الزَّمَانَ مِنْ أَجَلِهِ

بِكَأْسَيْنِ مِنْ لَمِيَاءِهِ وَعُقَارِهِ

(٢) وَحَيًّا فَحَيًّا اللهُ دَهْرًا أَتَى بِهِ

بِأَسَيْنِ^(١) مِنْ رِيحَانِهِ وَعِذَارِهِ^(٢)

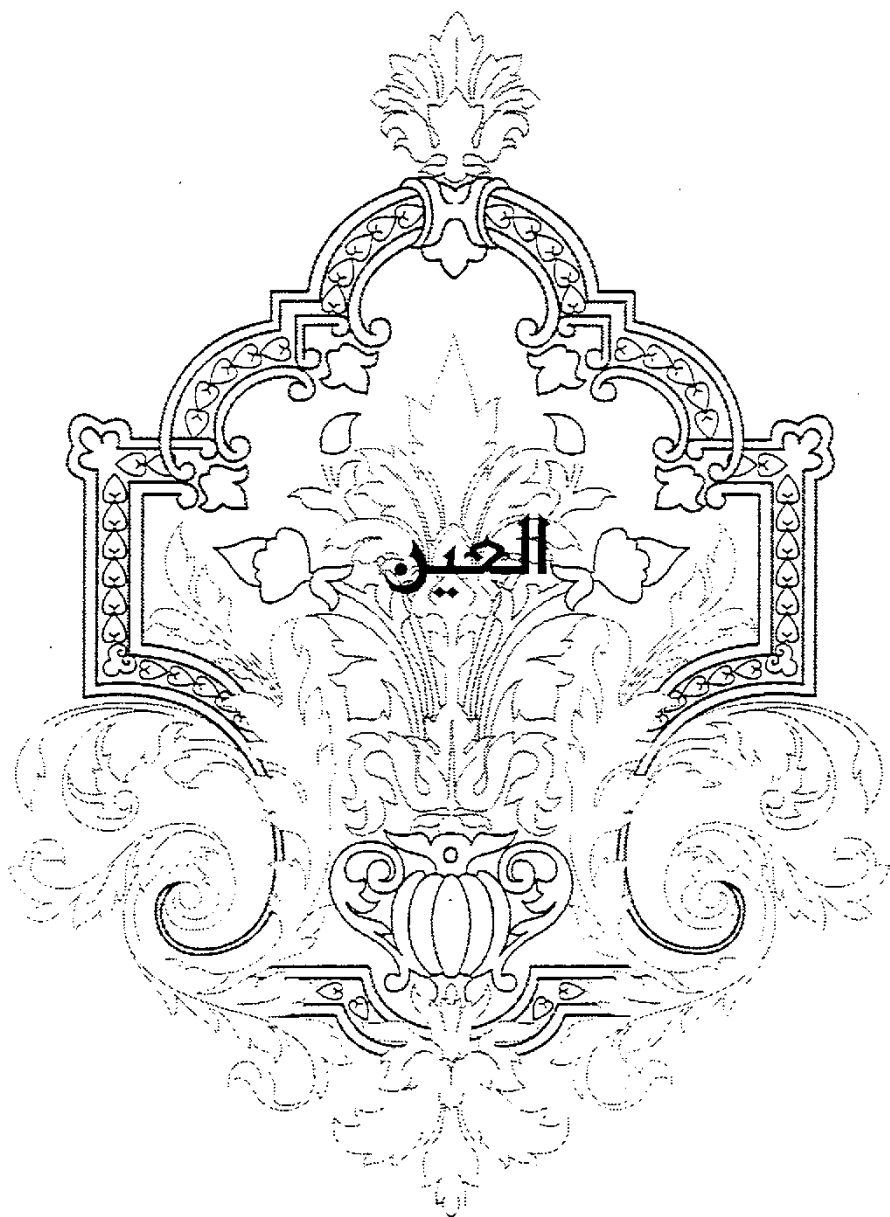
التخريج :

البيتان في القلائد ، ط / خربوش ، ج ٣ ، ص ٧٧٣ ، والخريدة ج ٢ ، ص ٩٦ ،
والبغية ص ٣٧٤ ، ص / مجريط ، والفوات ج ٢ ، ص ٢٥٢ ، ومخطوطة عقود الجمان ،
ورقة رقم ١٣٣ .

(١) في الفوات وعقود الجمان : بأطيب .

بأسين : الآس : ضرب من الرياحين .

(٢) في الفوات : عواره .



﴿٣٥﴾

﴿السريع﴾

وقال :

(١) وَلَنْ تَرَى أَعْجَبَ مِنْ أَنْسٍ
مِنْ مِثْلِ مَا يُمَسِّكُ يَرْتَاعُ

التخريج :

البيت في المختار من شعر شعراء الأندلس ، ص ٤٧ ، والخريدة ج ٢ ، ص ٣١ ،
والبدائع ص ١٠٨ ، والمطرب ص ١٥ ، والفوات ج ٢ ، ص ٢٥٢ ، والنفح ج ٤ ، ص
٩٢ ، ٢٦٢ .

المناسبة :

قال ابن الصيرفي في المختار من شعر شعراء الأندلس ص ٤٦-٤٧ : « وقال
- أي المعتمد بن عباد - في جارية كان يحبها وهي بين يديه يوماً تسقيه ، والكأس في
يدها إذ لمع البرق فارتاعت :

رَوَّعَهَا الْبَرْقُ وَفِي كَفِّهَا
بَرْقٌ مِنَ الْقَهْوَةِ لَمَاعٌ
يَالَيْتَ شِعْرِي وَهِيَ شَمْسُ الضُّحَى
كَيْفَ مِنَ الْأَنْوَارِ تَرْتَاعُ

ومن نوادر الخواطر أن ابن عباد أنشد عبد الجليل بن وهبون البيت الأول ، وأمره
أن يذيله فارتجل البيت السابق .



﴿٣٦﴾

﴿الرمل﴾

وقال في غلام:

(١) قدُهُ مَهْمَا تَشَنَّى صَعْدَةً

والسِّنَانُ الذَّلِقُ فِيهَا طَرْفُهُ

التخريج:

البيت في الذخيرة ق ٢ ، م ٢ ، ص ٨٣٦ .



﴿٣٧﴾

﴿الكامل﴾

وقال في غلام :

(١) وَمَشَتْ لِحَاظِي فِي جَوَانِبِ خَدِّهِ
 حَتَّى أَثَرْنَ بِصَفَحَتَيْهِ طَرِيقًا

التخريج :

البيت في : الذخيرة ق ١ ، م ١ ، ص ١٤٧ .

﴿٣٨﴾

﴿الكامل﴾

وقال يصفه الأسطول :

(١) يَا حُسْنَهُ ^(١) يَوْمًا شَهِدْتُ زِفَافَهَا

بِنتِ الْفَضَاءِ إِلَى الْخَلِيجِ الْأَزْقِ

(٢) وَرَقَاءُ كَانَتْ أَيْكَةً فَتَصَوَّرَتْ

لَكَ كَيْفَ شِئْتَ مِنَ الْحَمَامِ الْأَوْرَقِ

(٣) حَيْثُ الْغُرَابُ يَجْرُ شَمْلَةً عُجْبَهُ

وَكَأَنَّهُ مِنْ عِزَّةٍ لَمْ يَنْعَقِ

(٤) مِنْ كُلِّ لَابِسَةِ الشَّبَابِ مَلَاءَةً

حَسَبَ اقْتِدَارِ الصَّانِعِ الْمُتَأَنِّقِ

(٥) شَهِدْتَ لَهَا ^(٢) الْعَيْنُ ^(٣) أَنَّ شَوَاهِنَا

أَسْمَاؤُهَا فَتَصَحَّفَتْ ^(٤) فِي الْمَنْطِقِ

(٦) مِنْ كُلِّ نَاشِرَةٍ قَوَادِمَ أَفْتَخَ ^(٥)

وَعَلَى مَعَاطِفِهَا فَرَاهَةً ^(٦) شَوَذَقَ ^(٧)

(١) في نفح الطيب : باحسنها .

(٢) في نفح الطيب : لها .

(٣) في نفح الطيب : الأعيان .

(٤) في مسالك الأبصار : وتصحفت .

(٥) في النفح : أجنح ...

والأفتخ : العقاب .

(٦) في النفح والمسالك : وهادة .

فراهة : الفراهة : النشاط .

(٧) في النفح والمسالك : شوذق بالسين المهملة .

الشوذق : الصقر أو الشاهين . وقيل الشوذق لغة في الصقر .

(٧) زَارَتْ زَيْرَ الْأَسَدِ وَهِيَ صَوَامَتْ

وَزَحَفْنَ زَحَفَ مَرَائِبٍ ^(١) فِي مَازِقٍ

(٨) وَمَجَادِفٍ ^(٢) تَحْكِي ^(٣) أَرَاقِمَ رَبْوَةٍ

نَزَلَتْ لِتَكْرَعَ فِي غَدِيرٍ مُتَأَقٍ ^(٤)

(٩) وَالْمَاءُ فِي شَكْلِ الْهَوَاءِ فَلَا تَرَى

فِي شَكْلِهَا إِلَّا جَوَارِحَ تَلْتَقِي

التخريج:

الآيات كاملة في الذخيرة ق ٢ ، م ١ ، ص ٥٠٦ ، والآيات كاملة ما عدا البيت التاسع في مخطوطة مسالك الأبصار ، ج ١١ ، ق ١ ، ورقة رقم ٢٢٢ ، والآيات كاملة ما عدا البيت التاسع في النفح ج ٤ ، ص ٦٠ .

(١) في النفح والمسالك : مواكب .

(٢) في المسالك : ومحاذف .

(٣) في المسالك : يحكي .

(٤) في المسالك : متارق .

متاق : التأق : شدة الامتلاء .

﴿٣٩﴾

﴿الوافر﴾

وقال في غلام :

- (١) تَعَرَّضَ لِي لِيَسْقُطَ فِي حَبَالِي
سَقُوطَ تَعَمُّدٍ شَبَهُ اتِّفَاقِ
- (٢) وَبَاتَ عَلَى الْمُدَامَةِ لِي نَدِيمًا
وَبَيْنَ جُفُونِهِ لِلْغُنْجِ سَاقِ
- (٣) إِلَى أَنْ مَالَ مِنْ سِنَةِ الْحُمَيَّا
وَقَامَ اللَّيْلُ مَمْدُودَ الرُّوَاقِ
- (٤) وَحَلَّ مَعَا قَدَ الْهَمِيَّانِ عَنْهُ
بَسْطِ كَانِ يَعْقِدُهَا رِقَاقِ
- (٥) وَصَارَ عَلَى كَرَامَتِهِ بَسَاطًا
وَلَفَّتَ بَيْنَنَا سَاقِ بِسَاقِ

التخريج :

الآيات كاملة في الذخيرة ق ٢ ، م ١ ، ص ١٤٤ .



﴿٤٠﴾

﴿المقارب﴾

وقال :

- (١) بِنَفْسِي وَإِنْ كُنْتُ لَا نَفْسَ لِي
فَقَدْ سَلَبْتُهَا لِحَافِ الْمَقْلِ
- (٢) عِذَارٌ وَخَدٌّ كَمَا يَحْتَوِي
سَوَادُ الْقُلُوبِ بَيَاضُ الْأَمَلِ

التخريج :

البيتان في الفوات ج ٢ ، ص ٢٥١ .

﴿٤١﴾

﴿الوافر﴾

وقال يصفه قصر المحتمم :

(١) مَحَلُّ أَلْبَسَ الدُّنْيَا جَمَالاً

وَأَن فَضَحَ الْمَقَاصِرَ وَالْخِلَالَ

(٢) بَنَاهُ كَمَا بَنَى الْعِلْيَاءَ بَانَ

يَشِيدُ مَآثِرًا وَيَبِيدُ مَالاً

(٣) وَلِلزَّاهِي الْكَمَالُ سَنًا وَحُسْنًا

كَمَا وَسِعَ الْجَلَالَةُ وَالْكَمَالُ

(٤) يُحَاطُ بِشَكْلِهِ عَرْضًا وَطُولًا

وَلَكِن لَّا يُحَاطُ بِهِ جَمَالًا

(٥) تَوَاصَلَتِ الْمَحَاسِنُ فِيهِ شَتَّى

فَوَفَدَ اللَّحْظُ يَنْتَقِلُ انْتِقَالًا

(٦) وَقَوْرٌ مِثْلُ رُكْنِ الطُّودِ ثَبَتَ

وَمُخْتَالٌ مِنَ الْحُسْنِ ^(١) اخْتِيَالًا(٧) تَدَافَعُ ^(٢) مِنْ جَوَانِبِهِ ائْتِلَافًا

فَكَادَ الْمُسْتَبِينُ يَقُولُ مَا لَا

(٨) فَلَوْ أَدْنَوْ حَرَامَ السَّحَرِ مِنْهُ

لَأَضْحَى يَعْبُدُ السَّحَرَ الْحَلَالَ

(١) فِي الْمَسَالِكِ : الْأَنْسُ .

(٢) فِي الْمَسَالِكِ : يَدَافِعُ .

(٩) سَمَاءٌ تَرْتَمِي بِعُبَابٍ بَحْرٍ^(١)

كَأَنَّ بِهَا إِكَامًا أَوْ تِلَالًا^(٢)

(١٠) فَقَدْ كَادَ اللَّيْبُ يَهَالُ مِنْهُ

وَيَحْسَبُ أَنَّ بَحْرَ الْجَوِّ^(٣) سَالًا

(١١) فَمَا أَبْقَى شَهَابًا لَمْ يُصَوِّبْ

وَلَا شَمْسًا^(٤) تُنِيرُ وَلَا هَالًا

(١٢) وَلِلْبَهْرِ الْبَهِيِّ سَمَاءٌ نُورٍ

تَمَثَّلَ شَكْلُهَا حَلَقًا^(٥) دَخَالًا

(١٣) مُزْخَرَفَةٌ كَأَنَّ الْوَشْيَ أَلْقَى

عَلَيْهَا مِنْ طَرَائِقِهِ خِيَالًا

(١٤) وَمَا خِلْتُ الْهَوَاءَ يَكُونُ رَوْضًا

وَلَا سَقْفًا يَكُونُ كَذَلِكَ آلا

(١٥) بَلَى حَقَّقْتُ أَنَّ النَّارَ كَانَتْ

لَهُ ظَنْرًا^(٦) وَعَنْصُرُهُ زَلَالًا^(٧)

(١) في المسالك : تبر .

(٢) إكاما : الأكمة : تل من القف وهو حجر واحد وقيل : هو دون الجبال ، وقيل : هو الموضع الذي هو أشد ارتفاعاً مما حوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً .

(٣) في المسالك : الجود .

(٤) في المسالك : بدرأ ينير .

(٥) في المسالك : خلقاً وحالا .

(٦) ظنراً : الظنر : المرضعة غير ولدها .

(٧) في المسالك : دلالة .

(١٦) فَلَمْ أَعْدِلْ بِجَامِدِهِ مُذَاباً

وَلَمْ أَنْكَرْ لِنَدْوَتِهِ اشْتِعَالاً

(١٧) وَكُلُّ مُصَوِّرٍ حَيٍّ ^(١) جَمَادٍ

تَبَيَّنَ ^(٢) فِيهِ زَهْواً أَوْ دَلالاً

(١٨) لَهُ عَمَلٌ وَلَيْسَ لَهُ حَرَاكٌ

وَأَفْهَامٌ وَمَا أَدَّى ^(٣) مَقَالاً

ومنها :

(١٩) وَيُفْرِغُ فِيهِ مِثْلُ النَّصْلِ بَدْعٌ

مِنَ الْأَفْيَالِ لَا يَشْكُرُ مَالاً

(٢٠) رَعَى ^(٤) رَطْبَ اللَّجِينِ فَجَاءَ صِلْداً

وَقَاحاً ^(٥) قَلَمًا يَخْشَى هُزَالاً

(٢١) كَانَ بِهِ عَلَى الْحَيَّانِ عَتَباً

فَلَمْ يَرْفَعْ لِرُؤْيَتِهَا ^(٦) قَذالاً

(٢٢) وَأَوْصَى بِالرِّيَّاحِينَ اغْتِرَاساً

هَمَامٌ طَالَمَا اغْتَرَسَ ^(٧) الرَّجَالُ

(١) في المسالك : خلى جمادا .

(٢) في المسالك : بين .

(٣) في المسالك : أدنى .

(٤) في المسالك : دعا .

(٥) في البدائع والنفح : تراه .

(٦) في المسالك : فلم ترفع لرؤيته .

(٧) في المسالك : غرس .

(٢٣) وَكَانَ الْغَرَسُ وَالْإِثْمَارُ وَقْفًا

لِمَنْ جَعَلَ النَّدَى وَالْوَعْدَ حَالًا

(٢٤) وَقَامَتْ يَوْمَ قُمْنا مُنْشَدَاتٍ

فَغَضَّتْ مِنْ رَوَيْتِنَا ارْتِجَالًا

ومنها:

(٢٥) بَرَاعَةٌ مَصْنَعِ جَلَبَتِ فَأُضْحَتِ

بَرَاعَةٌ مَنْطِقِي مِنْهَا مِثَالًا

(٢٦) فَكَمْ طَلَبَ الْعَوِيصَ فَمَا تَأَبَّى

وَكَمْ قَلَبَ الْعَيَانَ فَمَا اسْتَحَالَ

(٢٧) وَلَكِنَّ الْمُؤَيَّدَ عَزَّ وَصَفًا

وَأَعَيْتِي ^(١) حَقِيقَتُهُ مَنَالًا

(٢٨) إِذَا اسْتَوْضَحَتْهُ أَبْصَرْتَ دَهْرًا

لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ لَمْ يَنْسَخْ فِعَالًا ^(٢)

(٢٩) أَقَامَ لَهَا مَعَالِيَهَا شُمُوسًا

وَمَدَّ لَنَا مَسَاعِيَهُ ظِلَالًا

(٣٠) وَآرَاءُ يُنْتَجِجُهَا رِزَانًا

فَيُرْسِلُهُنَّ أَقْدَارًا عِجَالًا

(٣١) وَفِيهِ أَنَاءٌ مُقْتَدِرٍ حَلِيمٍ

تَكَادُ ^(٣) تَغْرُبُ بِالْأَسَدِ النَّمَالًا

(١) في المسالك : وأعيتنا.

(٢) في المسالك : مقالا.

(٣) في المسالك : يكاد يغر.

(٣٢) وَيَبْطِشُ بَطْشَةً تُنْبِي الْأَعَادِي

أَكْفَهُمْ وَمَا حَمَلُوا اعْتِقَالاً

(٣٣) مِنَ الْبَيْضِ الَّذِينَ إِذَا تَوَلَّوْا

صَنِيعاً لَمْ تَجِدْ فِيهِمْ شِمَالاً

(٣٤) وَبَيْنَا يَجْتَلِي مِنْهُمْ بَدُوراً

إِذَا بِهِمْ قَدْ اعْتَرَضُوا جَبَالاً

(٣٥) تَأَلَّقَ وَجْهَهُ وَزَكَتْ ^(١) نُهَاهُ

فَقُلْتُ مِثَالَهُ مُحَقُّ الضَّلَالِ

(٣٦) وَمَا يَوْمُ الْعُرُوبَةِ ^(٢) يَوْمٌ سَرٌّ

لَقَدْ نَطَقَ الزَّمَانُ بِهِ فَقَالاً

(٣٧) عَجِزْنَا أَنْ نُحَقِّقَ مِنْهُ وَصَفَاً

وَمَا عَجَزَ الرَّشِيدُ لَهُ امْتِثَالاً

(٣٨) يَعَارِضُهُ بِكُلِّ سَبِيلٍ مَجْدٌ

فَتَحَسِبُهُ يَنَافِسُهُ خِلَالاً

(٣٩) وَلَمَّا لَمْ يُطِقْ يَثْنِي صَبَاهُ

أَحَالَ عَلَى شَمَائِلِهِ اكْتِهَالاً

(١) في المسالك : وذكت - بالذال المعجمة - .

(٢) يقصد بيوم العروبة موقعة الزلاقة ، التي انتصر فيها المسلمون بقيادة المعتمد بن عباد ، والأمير المرابطي يوسف بن تاشفين نصراً مؤزرًا وكان ذلك في يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب سنة ٤٧٩ هـ علي أرجح الآراء .

انظر : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ١٩٥ ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق ٢ ، م ١ ، ص ٢٤١ ، الروض المعطار ص ٢٨٧ .

وقوله : « وما يوم العروبة يوم سر » لعله استفاد في هذا من المثل المشهور : « ما يوم حليلة بسر » . انظر المستقصى في أمثال العرب ، للزمخشري ، ح ٢ ، ص ٣٤٠ .

(٤٠) وَكَادَ يَكُونُهُ حَتَّى تَرَاهُ

يُجَاذِبُهُ وَلَا يَقْوَى انفِصَالاً

(٤١) وَأَبْهَجْنَا طُوعَهُمَا بَدَسْتُ

طُلُوعَ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ اتِّصَالاً^(١)

(٤٢) فَلَمْ أَرْقُبْ لَهُ بَدْرًا كَسَاهُ

جَوَارَ الشَّمْسِ تِمَاءً وَاكْتِمَالاً

وفيها يقول :

(٤٣) أَتَتَكَ عَلَى خَلَائِقِهَا جِيَادِي

وَأَنْ كَانَ الضِّيَاعُ لَهَا شِكَالاً^(٢)

(٤٤) وَمَا يَبْلِيكَ ذَهْنٌ أَحْوَذِي

إِذَا أَصْحَبْتَهُ جِدًّا تَفَالِي^(٣)

(٤٥) تَزَاخَمَتِ الْهُمُومُ خِلَالَ صَدْرِي

فَمَا تَرَكْتُ لِأَنْفَاسِي مَجَالاً

(٤٦) وَعَنَتْنِي الزَّمَانُ فَصِرْتُ أَرْدَى

بِمَا أَخْنَى سُقَاماً وَاعْتِبَالاً^(٤)

(١) بدست : الدست موضع الحكم ، وهي فارسية معربة .

انظر مفردات ابن الخطيب ، للسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق وتقديم د. عبد العلي الودغيري ص ٥٨ ، ط / الأولى ، (١٩٨٨ م ، منشورات عكاظ) .

(٢) شكالا : الشكال : هو العقل .

(٣) واليت مشكل في معناه .

« والذي أراه أن ابن وهبون يصف ممدوحه بأنه شخصية عميقة لا تدرك أبعادها حتى للذهن المتوقع الذي إذا اجتهد تكلف مالا يحسن - والتفالي هو التكلف - فالعقل الحصيف الذي يجهد لا يكشف عمق الشخصية ، ولكنه يتكلف ما فوق طاقته » .

(٤) لم يرد هذا البيت في المصادر التي رجعت إليها في جمع شعر ابن وهبون ، وإنما ورد في البحث الذي نشره صلاح خالص عن الشاعر في مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد ١٢ ، عام ١٩٦٩ م ، وعنه نقلته .

(٤٧) وَمَا خِلْتُ النَّسِيمُ يَكُونُ ثَقُلًا

وَلَا نَفَحَاتُهُ تَأْتِي وَبَالًا

(٤٨) كَأَنِّي كُلَّمَا اسْتَنَشَقْتُ مِنْهُ^(١)

أَرُدُّ بِهِ^(٢) إِلَى كَبِيدِي نَصَالًا

(٤٩) وَكَيْفَ يَصِحُّ ذُو قَلْبٍ أَبِي

إِذَا كَانَ الْإِبَاءُ لَهُ نَكَالًا

(٥٠) مَضَى مَاءُ الشَّبِيبَةِ فِي الْأَمَانِي

وَمَنْ وَلَّى فَمَا يَرْجُو اقْتِبَالًَا

(٥١) وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ يُرْجَى فَمَالِي

وَجَدْتُ يَقِينَ أَمَالِي مُحَالًا

(٥٢) وَلَمْ أَحْمِلْ وَدَادَكُمْ ادْعَاءًا

وَلَا أَظْهَرْتُ مَدْحَكُمْ انْتِحَالًا

التخريج:

القصيدة بتمامها في الذخيرة ق ٢، م ١، ص ٥٠٨-٥١١، والبيتان ١٩-٢٠ في الذخيرة ق ٢، م ١، ص ٤٧٢، والأبيات : ١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤ في الذخيرة ق ٣، م ٢، ص ٧٦٦-٧٦٧، والبيت ٤٣ في الذخيرة ق ١، م ١، ص ٣٥٨، ٨٢، والبيتان ١٩-٢٠ في البدائع ص ٣٧٣، والأبيات من ٣ إلى ٢٢ مع الأبيات : ٢٦-٢٧-٢٨-٣١-٣٥-٤٥-٤٧ في مخطوطة مسالك الأبصار، ج ١١، ق ١، ورقة رقم ٢٢٢-٢٢٤ والبيتان ١٩-٢٠ في النفع، ج ٤، ص ٢٦٣.

(١) في المسالك : ربحاً .

(٢) أَرُدُّ مِنْهُ لِلْكَبِيدِ النَّصَالًا .

﴿٤٢﴾

﴿البسيط﴾

وقال يمدح المحترم بن عباد :

- (١) بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّيَالِي هِمَّةٌ جَلَلُ
لَوْ نَالَهَا الْبَدْرُ لَأَسْتَخَذَى لَهُ زُحَلُ
(٢) سَرَابٌ كُلُّ يَبَابٍ عِنْدَهَا شَنْبُ
وَهَوْلٌ^(١) كُلُّ ظَلَامٍ عِنْدَهَا كَحَلُ
(٣) مِنْ أَيْنَ أَبْخَسُ لَا فِي سَاعِدِي قِصْرُ
عَنْ الْمَسَاعِي^(٢) وَلَا فِي مِقْوَلِي^(٣) خَطَلُ
(٤) ذَنْبِي إِلَى الدَّهْرِ إِنْ أَبَدَى^(٤) تَعْنَتُهُ
ذَنْبُ الْحُسَامِ إِذَا مَا أَحْجَمَ الْبَطْلُ
(٥) يَاطَالِبَ الْوَفْرِ إِنِّي قُمتُ أَطْلُبُهَا
عَلَيَاءَ تَغْنَى بِهَا الْأَسْمَاعُ وَالْمُقَلُ
(٦) لَا كَانَ لِلْعَيْشِ فَضْلٌ لَا يَجُودُ بِهِ
يَكْفِي الْمُهَنْدَ مِنْ أَسْلَابِهِ الْخِلَلُ^(٥)

(١) في الرايات : ودجن .

(٢) في القلائد ، والخريدة ، والبغية ، والرايات : المعالي .

(٣) في الفوات : همتي .

(٤) في القلائد ، والخريدة ، والبغية ، والرايات ، والمرقص ، والمسالك : فلتكره سجيته .

(٥) الخِلَلُ : جفون السيوف ، واحدها : خِلَّةٌ وهي : بطانة يغشى بها جفن السيف تنقش بالذهب وغيره .

(٧) لَكِنْ بَخِلْتَ بِأَنْفَاسٍ مُهَذَّبَةٍ

تَرْوِي الْعُقُولَ وَهَنَّ الْجَمْرُ وَالشُّعْلُ

(٨) إِذَا مَدَحْتُ فِي لَحْمٍ وَسَيِّدَهَا

عَنِ الْأَنَامِ وَعَمَّا زَحَرْفُوا^(١) شَغْلُ

(٩) وَإِنْ وَصَفْتُ فَكَالْيَوْمِ الَّذِي عَرَفْتُ

بِكَ الْفَرْنَجَةِ^(٢) فِيهِ كُنْهَ مَا جَهِلُوا

(١٠) وَقَدْ دَلَفْتُ إِلَيْهِمْ تَحْتَ خَافِقَةٍ

قَلْبُ الضَّلَالَةِ مِنْهَا خَائِفٌ وَجِلٌ^(٣)

(١١) فَرَاعَهُمْ مِنْكَ وَضَّاحُ الْجَبِينِ وَعَنْ

نَشْرِ الْحُسَامِ يَكُونُ الرُّعْبُ وَالْوَهْلُ

(١٢) وَحِينَ أَسْمَعْتَ مَا أَسْمَعْتَ مِنْ كَلِمٍ

تَمَثَّلَتْ لَهُمُ الْأَعْرَابُ وَالْحُلُلُ^(٤)

(١٣) وَكُلَّمَا نَفَحَتْ رِيحُ الْهُدَى خَمَدَتْ

ذِمَاؤُهُمْ وَسَيُوفُ الْهِنْدِ تَشْتَعِلُ^(٥)

(١٤) جَيْشٌ فَوَارِسُهُ بِيضٌ كَأَنْصُلِهِ

وَخَيْلُهُ كَالْقَنَا عَسَالَةٌ ذُبُلٌ

(١) في المسالك : أخرجوا .

(٢) في المسالك : القريحة . وهو تصحيف . وأراد باليوم : يوم الزلاقة .

(٣) خافقة : الخفق اضطراب الشيء العريض ، والخافقة الرايات ، يقال : راياتهم تخفق وتختفق ، وتسمى

الأعلام الخوافق والخافقات .

(٤) في الذخيرة ق ٢ ، م ١ : والرعل .

(٥) ذماؤهم : الدماء : بقية الروح في المذبوح ، وقيل : قوة القلب .

(١٥) يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي مَرَحٍ
كَأَنَّمَا التَّيَهُ فِي أَعْطَافِهِ كَسَلٌ
ومنها :

(١٦) أَشْبَاهُ^(١) مَا اعْتَقَلُوهُ مِنْ ذَوَابِلِهِمْ
فَالْحَرْبُ جَاهِلَةٌ مِنْ مِنْهُمْ الْأَسْلُ^(٢)
(١٧) لَوْلَا اعْتِرَاضُكَ سَدًّا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ
لَكَانَ يَغْرُقُ فِيهَا السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
(١٨) أَنْسَيْتَهَا النَّظَرَ الشَّرَّ الَّذِي عَهَدَتْ
فَكُلُّ عَيْنٍ بِهَا مِنْ دَهْشَةٍ قَبْلُ^(٣)
(١٩) تَرَسَّلُوا آلَ عِبَادٍ فَرَبَّتَمَا
لَمْ يَدْرِكِ الْوَصْفُ مَا تَأْتُونَ وَالْمَثَلُ
(٢٠) إِذَا أَسَرْتُمْ فَمَا فِي أَسْرِكُمْ قَنْطٌ
وَأَنْ عَفَوْتُمْ فَمَا فِي عَفْوِكُمْ خَلَلٌ
(٢١) يُقَبِّلُ الْغُلَّ مُرْتَاحاً أَسِيرَكُمْ
فَهُوَ الْبَشِيرُ لَهُ أَنْ تُسْحَبَ الْحُلَلُ

(١) في الذخيرة ق ١ ، م ١ : شبيه .

(٢) الأسل : هي الرماح - على التشبيه - ، والنبل ، وكل ما رُفِقَ وَحْدَهُ مِنَ الْحَدِيدِ ، من سيف أو سكين أو سنان . وقيل هي : الرماح الطوال وحدها .

(٣) القبل : بالفتح ، أن ترى الهلال أول ما يرى ولم ير قبل ذلك ، وكذلك كل شيء أول ما يرى فهو قبل ، وكل ما استقبلك فهو قبل .

التخريج :

الأبيات كاملة في الذخيرة ق ٢ ، م ١ ، ص ٤٩٢ ، والبيت ١٢ في الذخيرة ق ١ ، م ٢ ، ص ٧١٢ ، والبيت ١٦ في الذخيرة ق ١ ، م ١ ، ص ٤٤١ ، والأبيات ١-٢-٣-٤-١٤-
 ١٥-١٦ في القلائد ، ط خربوش ، ج ٤ ، ص ٧٧٠ ، والأبيات : ١-٢-٣-٤-١٤-
 ١٥-١٦ في الخريدة ج ٢ ، ص ٩٨ والأبيات : ١-٢-٣-٤ في البغية ٣٧٤ ،
 ط/مجريط ، والأبيات : ١-٢-٣-٤ في الرايات ص ١٠٩-١١٠ ، والبيت رقم ٤ في
 المرقصات والمطربات ص ٨٠ ، والأبيات : ٤-٨-٩-١٤-١٩-٢٠-٢١ في
 مخطوطة مسالك الأبصار ج ١١ ، ق ١ ، ورقة رقم ٢٢١ ، ٢٢٥ ، والأبيات : ١-٢-٤ في
 القوات ج ٢ ، ص ٢٥٠-٢٥١ .

﴿٤٣﴾

﴿البسيط﴾

وقال يمدح المهتمد بن عباد :

- (١) مَا الشَّعْرُ مُرْتَجِلاً أَوْ غَيْرُ مُرْتَجِلٍ
بِبَالِغٍ كُنْهَ ذَاكَ السُّؤْدَدِ الْجَلَلِ
- (٢) بِأَيِّ لَفْظٍ أَحَلِّي مِنْكَ ذَا شَيْمٍ
لَوْلَا حُلَاهَا لَكَانَ الدَّهْرُ ذَا عَطَلٍ
- (٣) لَا حُلَّةَ الشَّمْسِ مِمَّا قَدْ أَحَاوَلُهُ
وَلَا نِظَامَ النُّجُومِ الزَّهْرِ مِنْ عَمَلِي
- (٤) وَسَائِلِينَ أَجِدَّاءَ فِي مُبَاحَثَتِي
خُذَا حَدِيثِي عَنِ الْأَمْلَاقِ وَالِدُولِ
- (٥) جَيْشَ الْمُؤَيَّدِ يَقْضِي مِنْ خِلَائِقِهِ
أَنَّ الْمَلُوكَ لَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْخَوَلِ
- (٦) فَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فِي كُلِّ مَعْلُوءَةٍ
كَالْفَرْقِ يُوجَدُ بَيْنَ النَّقْصِ وَالْكَمَلِ
- (٧) سَلِ الْمَكَارِمَ عَنْهُ كَيْفَ تَعْلَمُهُ
أَوْ لَا، فَسَلِ شَفَرَاتِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
- (٨) أَحَدٌ مِنْ ذَهْنِهِ فِي كُلِّ مُعْضَلَةٍ
إِذَا تَعَثَّرَ فِي الْعَسَّالَةِ الدُّبْلِ^(١)

(٩) وَارِي الْبَصِيرَةَ لَا تَذَرِي الْأَنَاءَ بِهِ

وَلَا تَعُودُ عَلَيْهِ آفَةُ الْعَجَلِ

(١٠) لِذَلِكَ^(١) الْحِلْمُ فِي الْأَعْدَاءِ قَدْ عَلِمُوا

فَتَكَ يَسُدُّ طَرِيقَ الْأَمْنِ بِالْوَجَلِ

(١١) صَاحِي النَّهْيِ عَرَبَدَتْ فِيهِمْ مَكَائِدُهُ

فَطَارَ عَنْهُمْ خِمَارُ الشُّكْرِ وَالْثَمَلِ

(١٢) يَجِيزُنَا^(٢) كُلَّمَا حُكِنَا مَدَائِحَهُ

وَالصُّبْحُ عُرْيَانٌ مُسْتَعْنٍ عَنِ الْحُلِّ

(١٣) لِلَّهِ^(٣) أَذَارٌ مِنْ شَهْرِ سَمُوتٍ بِهِ

حَتَّى لَقِيتُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فِي الْحَمَلِ

(١٤) مَا بَيْنَ نُورِ جَبِينٍ مِنْكَ مُؤْتَلَفٍ

وَبَيْنَ فَضْلِ طِبَاعٍ مِنْهُ مُعْتَدَلٍ

(١٥) وَنَائِلِ أَسَدِي^(٤) النَّوْءُ طَوْعُ^(٥) يَدِي

يَسْطُو عَلَى الْقَرْنِ^(٦) أَوْ يَسْطُو عَلَى الْبَخْلِ

(١٦) فَدَيْتُ مَوْسُومَةً بِالْيَمَنِ مَدَّ بِهَا

فَكَانَ تَقْيِيلُهَا أَسْنَى النَّهْيِ قَبْلِي

(١) فِي الْمَسَالِكِ : كَذَلِكَ .

(٢) فِي الْمَسَالِكِ : يَجِيرُنَا .

(٣) فِي الْمَسَالِكِ : اللَّهُ أَذَارُ .

(٤) فِي الْمَسَالِكِ : أَسَدُ النَّوْءِ .

(٥) فِي الْمَسَالِكِ : طَوْعُ يَدٍ .

(٦) فِي الْمَسَالِكِ : [تَسْطُو عَلَى الْقَرْنِ أَوْ تَسْطُو عَلَى الْبَخْلِ] .

(١٧) لَثَمْتُهَا فَرَشَفْتُ الْعِزَّ مُمْتَزِجاً

فِيهِ الْغِنَى وَأَخَذْتُ الرَّيَّ فِي النَّهْلِ^(١)

التخريج :

القصيدة بتمامها في الذخيرة ق ٢ ، م ١ ، ص ٥١٥-٥١٦ ، والأبيات : ٥-٧-٩-
١٠-١٢-١٣-١٤-١٥-١٧ في مخطوطة مسالك الأبصار ، ج ١١ ، ق ١ ، ورقة ٢٢٤-
٢٢٥ .

المناسبة :

قال ابن بسام في الذخيرة ق ٢ ، م ١ ، ص ٥١٥ : «...كنت يوماً بدار أبي بكر
الخلولاني المنجم ، فاتفق أن دخل علينا عبد الجليل وفي كتمته صلة المعتمد من ضرب
السكة ، وقيمتها ثلاثة آلاف درهم ، فرفع إليه إثر ذلك قصيدته التي أولها : الأبيات
السالفة .

﴿٤٤﴾

﴿الكامل﴾

و قال في رثاء ابن عمار:

(١) عَجَبًا^(١) لِمَنْ^(٢) أَبْكِيهِ مِلءَ مَدَامَعِي
وَأَقُولُ : لَا شَلَّتْ يَمِينُ الْقَاتِلِ

التخريج:

البيت في الذخيرة ق ٢ ، م ١ ، ص ٤٣١ ، والقلائد ، ط خربوش ، ج ١ ، ص ٢٨٨ ،
والخريدة ج ٢ ، ص ٩٦ ، والحلة السراء ج ٢ ، ص ١٦٠ ، والمغرب في حلى المغرب
ج ١ ، ص ٣٩١ ووفيات الأعيان ج ٤ ، ص ٤٢٦ ، والوافي بالوفيات ج ٤ ، ص ٢٢٩ .

المناسبة:

قال ابن بسام في الذخيرة ق ٢ ، م ١ ، ص ٣٤١ : « ... وما وقفت في تأبين ابن
عمار على شعر لأحد من أهل العصر ، غير بيت مفرد شهد أن المعتمد باشر قتله بيده ،
وهو لعبد الجليل حيث يقول : البيت السالف .

(١) في المغرب : لله ، وفي القلائد : من ذا الذي .

(٢) في وفيات الأعيان ، والوافي بالوفيات : عجبا له .

﴿٤٥﴾

﴿الخفيف﴾

وقال في غلام :

(١) يَا هَلَالُ اسْتَرِّ بِوَجْهِكَ عَنَّا^(١)

إِنَّ مَوْلَاكَ قَابِضٌ^(٢) بِشِمَالِي

(٢) هَبْكَ تَحْكِي سَنَاهُ خَدًّا بِخَدٍّ

قَمٍّ فَجِئَنِي^(٣) لَقَدَّهُ بِمِثَالِ

التخريج :

البيتان في القلائد، ط/خربوش ، ج ٤ ، ص ٧٦٩ ، والخريدة ج ٢ ، ص ٩٨ ،
والبغية ص ٣٧٤ ط/مجريط ، والبدائع ص ٣٦٩ ، والنفع ج ٣ ، ص ٣٦٨ .

المناسبة :

قال صاحب القلائد ج ٤ ، ص ٧٦٩ : « وسائر - أي ابن وهب - الوزير
أبا بكر بن القبطرنة وهو غلام يحار مجتليه ، ويغار غصن البان من حسن تشنيه وقد وضع
يميناه في شماله ، وتضوع به عَرَفُ آماله ، والناس ينظرون هلال شوال فارتجل : البيت
السالفين .

(١) في البدائع والنفع : عني .

(٢) في البدائع : آخذ .

(٣) في الخريدة والبغية : فجئنا .

﴿٤٦﴾

﴿البسيط﴾

وقال :

(١) قُلْ^(١) الْوَفَاءُ فَمَا تَلْقَاهُ فِي أَحَدٍ^(٢)

وَلَا يَمُرُّ لِمَخْلُوقٍ عَلَى بَالٍ

(٢) وَصَارَ^(٣) عِنْدَهُمْ عَنَقَاءُ مُغْرِبَةٍ

أَوْ مِثْلَ مَا حَدَّثُوا عَنْ أَلْفٍ مِثْقَالٍ

التخريج :

البيتان في المسجب في تلخيص أخبار المغرب ص ١٥٩ ، والنفع ج ٣ ، ص ٢٣٥ .

(١) في النفع : غاض .

(٢) في النفع : في رجل .

(٣) في النفع : قد صار .



﴿٤٧﴾

﴿الوافر﴾

وقال في موقعة الزلاقة :

(١) أَظُنُّ خُطُوبَهَا قَالَتْ سَلَامٌ

فَلَمْ يَعْبَسْ لَهَا مِنْكَ ابْتِسَامٌ

ومنها يمدح ابن عباد ويذكر ثباته في موقعة الزلاقة ، وقد كان
طعن فرسه وكبابه :

(٢) وَقَفْتَ بِحَيْثُ تَلَحَّظُكَ الْعَوَالِي

وَهُنَّ إِلَى مَوَارِدِهَا هِيَامٌ

(٣) وَلَمْ يَثْبُتْ مِنَ الْأَشْيَاعِ إِلَّا

شَقِيقُكَ وَهُوَ صَارِمُكَ الْحُسَامُ

(٤) يَمَانٍ فِي يَدَي مَاضٍ يَمَانٍ

فَلَا نَابِي الْغِرَارُ وَلَا كَهَامٌ^(١)

(٥) وَلَمْ يَحْمِلْكَ طِرْفُكَ بَلْ فُؤَادٌ

تَعَوَّدَ أَنْ يُخَاضَ بِهِ الْحِمَامُ

(٦) ثَبَتَ بِهِ ثَبَاتَ الْقُطْبِ لَمَّا

أَدَارَ رَحَاهُ خَطْبٌ لَا يَرَامُ

(٧) وَعَادَتْكَ الطَّعَانُ فَإِنْ يَخْرُوا

جَوَادُكَ بِالطَّعَانِ فَمَا يُلَامُ

(١) كهام : كليل عن الضربة .

ومنها يمدح أمير المسلمين يوسف بن تاشفين :

(٨) فَشَارَ إِلَى الطَّعَانِ حَلِيفٌ صَدَقِ

تَشَوُّرٌ بِهِ الْحَفِيفَةُ وَالذِّمَامُ

(٩) نَمَى فِي حَمِيرٍ وَنَمَتَكَ لَحْمٌ

وَتَلَكْ وَشَائِجٌ فِيهَا التَّحَامُ

(١٠) فَيُوسُفُ يُوْسُفُ إِذْ أَنْتَ مِنْهُ

كَيَّامِنٌ ^(١) ، لَا وَهَى لَكُمْ أَنْظَامُ

(١١) نَهَجَتْ لِسِيلِهِ نَهَجًا فَرَوَافِي

وَفِي آذِيهِ ^(٢) الطَّامِي عَرَامٌ ^(٣)

(١٢) فَهَيْلَ بِهِ كَثِيبُ الْكُفْرِ هَيْلًا

وَكُلُّ رَفِيفَةٍ ^(٤) مِنْهُ رُكَّامٌ

(١) أي مثل يامن (يعني بنيامين أخو يوسف عليه السلام) .

وفي المسالك : كنامين يضمكما التام .

وفي إعمال الإعلام : كبا بزلا ومالكما نظام .

(٢) في إعمال الإعلام : آذانه .

(٣) عرام : عوام الجيش : حدهم ، وشدتهم ، وكثرتهم .

(٤) في قلائد العقيان : (وكل رقيقة منها ركام) ، وفي المسالك : (وكل رقيقة منه زكام) ، وفي إعمال

الإعلام : (وكان رقيقه منه زكام) .

رفيعة : الرفع : أسفل الفلاة وأسفل الوادي وقيل : الأرض الكثيرة التراب .

وأصل الرفع : اللين والسهولة ، والرفع : الناحية .

(١٣) وَصَارُوا^(١) فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ أَرْضًا^(٢)

كَأَنَّ وَهَادَهَا^(٣) مِنْهُمْ إِكَامٌ

(١٤) عَدِيدٌ لَا يُشَارِفُهُ حَسَابٌ

وَلَا يَحْوِي جَمَاعَتَهُ زِمَامٌ

(١٥) تَأَلَّفَتِ الْوُحُوشُ عَلَيْهِ شَتَّى

فَمَا نَقَصَ الشَّرَابُ وَلَا الطَّعَامُ

(١٦) فَإِنْ يَنْجُ اللَّعِينُ فَلَا كَحْرٍ

وَلَكِنْ مِثْلَمَا يَنْجُو^(٤) اللَّئَامُ

ومنها يذكر أمير المسلمين ابن تاشفين ، وبعض أصحاب ملك الروم
وما تعاقبوا عليه من الثبات :

(١٧) دَعَا لِلْحَرْبِ كُلِّ سَلِيلِ حَرْبٍ

يَخْلَفُهُ عَنِ الْهَيْجَا نِظَامٌ

(١٨) تَعَرَّقَ لَحْمُهُ وَأَخْضَرَ جِلْدًا

فَهَبَ مَعَ الْحُسَامِ بِهِ حُسَامٌ

(١٩) وَجَاءَ بِعَظْلَمِ الصَّحْرَاءِ لَوْنًا

وَلَكِنْ ثَبَتَ مِفْرَقَهُ ثَغَامٌ^(٥)

(١) في قلاند العقيان : وأصبح .

(٢) في المسالك : روضا .

(٣) في المسالك : (كأن وهادهم منها أكام) ، وفي أعمال الإعلام : (كأن وهادها منه ركام) ، وفي قلاند العقيان : (كأن وهادها فيهم اكام) .

(٤) وفي قلاند العقيان : تنجو .

(٥) بعظلم : العظلم : عصارة شجر لونه كالنيل أخضر إلي الكدرة ، وقيل : العظلم صبغ أحمر .

ثغام : الثغام بالفتح هو : نبات أبيض الثمر والزهر يشبه بياض الشيب به ، وهو نبت بنجد وتهامة .

(٢٠) فَلَمْ يَشْنِ الْقَنَا مَا بَيَّتُوهُ

وَتَحْتَ النَّوْمِ بَأْسٌ لَا يَنَامُ

(٢١) مَضَوْا فِي أَمْرِهِمْ سَحَرًا وَدَارَتِ

بِمَا عَقَدُوا مِنَ الْحِلْفِ الْمُدَامُ

(٢٢) فَرَدُّوْهَا عَلَى الشُّفَرَاتِ^(١) يَيْضًا

وَحُدَّدَ^(٢) فِي تَعَاطِيْهَا النَّدَامُ^(٣)

(٢٣) وَمَا أَخَذَتْهُمْ الْأَسْيَافُ لَكِنْ

صَوَاعِقُ لَا يَبُوحُ^(٤) لَهَا ضِرَامُ

(٢٤) إِذَا مَا بَرْقَةٌ بَرَقَتْ عَلَيْهِمْ

فَإِنْ الْقَطَرُ أَعْضَادٌ وَهَامُ

ومنها يذكر انهزام ملك الروم تحت الظلام ، وتخففه ومن معه
بالبقاء الجروع :

(٢٥) فَأَيْنَ الْعُجْبُ^(٥) يَا أَذْفُونَشُ هَلَاءُ

تَجَنَّبَتِ الْمَشِيخَةُ يَا غُلَامُ

(٢٦) سَتَسَأَلُكَ النِّسَاءُ وَلَا رَجَالُ

فَحَدَّثَ^(٦) (مَاوَرَاءَكَ يَا عَصَامُ)^(٧)

(١) الشفرات : جمع شفرة وشفرة السيف حده ، وشفرات السيوف : حروف حدها .

(٢) في المطرب : وجدد بالجيم المعجمة ، وهو أليق بالسياق .

(٣) الندام : مصدر نادم أي : جالسه على الشراب .

(٤) في الخريدة : ييوح ، بالحاء المهملة ، وباخت النار والحرب تبوخ : سكنت وفترت .

(٥) في القلائد : (فيا أذفنش) يا مغرور هلا .

(٦) في إعمال الإعلام : فخبر .

(٧) هو مثل وقد ورد أول ما ورد في قول النابغة الذبياني :

فإني لا ألومك في دخول ولكن ماوراءك يا عصام

انظر مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ، ص ٢٦٢ ، المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ج ٢ ، ص

٣٣٤ ، الأمثال لابن سلام ، ص ٢٠٥ .

(٢٧) وَرَاقِبْهَا بِأَرْضِكَ طَالَعَاتٍ

كَمَا تُهْدِي^(١) صَوَاعِقُهَا الْغَمَامُ

(٢٨) جِيَادٌ تَسْتَفِيدُ الْفُتُخَ مِنْهَا

وَيَفْرُقُ فِي مَسَارِحِهَا النَّعَامُ

(٢٩) أَقَمْتَ لَدَى^(٢) الْوَغَى سَوْقًا فَخُذْهَا

مُنَاجِزَةً وَهَوْنَ^(٣) مَا تُسَامُ^(٤)

(٣٠) فَإِنْ شِئْتَ اللَّجِينَ فَشَمَّ سَامُ

وَأَنْ شِئْتَ النَّضَارَ فَشَمَّ حَامُ

(٣١) جَلَالُكَ فَوْقَ مَا يُعْطِيكَ وَهَمُ

وَفِعْلُكَ فَوْقَ مَا يَسِعُ الْكَلَامُ

(٣٢) وَأَنْتَ النَّعْمَةُ الْبَيَاضَاءُ فَاسْلَمْ

لَنَا وَلِيُطْرِدَ فِيكَ التَّمَامُ

(٣٣) رَأَيْتَ الضَّرْبَ تَصْلِيًّا فَصَلِّبْ

فَأَنْتَ عَلَى صَلِيبِكَ لَا تُتْلَامُ

(٣٤) أَنَامَ رَجَالُكَ الْأَشَقَوْنَ؟ كَلَّا

وَهَلْ يَحْلُو^(٥) بِلَا رَأْسٍ مَنَامُ

(١) فِي الْخَرِيدَةِ : يَهْدِي .

(٢) فِي الْقَلَائِدِ : لَذَا .

(٣) هَوْنٌ : مُصْدَرُ هَانَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ أَيِ : خَفَ .

(٤) فِي إِعْمَالِ الْإِعْلَامِ : مَا يُسَامُ .

(٥) فِي إِعْمَالِ الْإِعْلَامِ : يَلْفَى .

(٣٥) رَفَعْنَا هَامَهُمْ فِي كُلِّ جَذَعٍ

كَمَا ارْتَفَعَتْ عَلَى الْأَيْكِ الْحَمَامُ

(٣٦) سَيَعْبُدُ بَعْدَهَا الظَّالِمَاءُ لَمَّا

أُتِيحَ ^(١) لَهُ بِجَانِبِهَا اكْتِسَامُ

(٣٧) وَلَا يَنْفَكُ كَالْخُفَّاشِ يَغْضِي ^(٢)

إِذَا مَا لَمْ يُبَاشِرْهُ الظَّلَامُ

(٣٨) نَضًا أَدْرَاعَهُ وَاجْتَابَ لَيْلًا

يَوْدُ لَوْ أَنَّ ^(٣) طُولَ اللَّيْلِ عَامُ

(٣٩) وَلَيْسَ أَوْ أَنَّ ^(٤) لِلْأَيْمِ انْسِلَاخُ

وَلَكِنْ فِي ضَمَائِرِهِ احْتِدَامُ

(٤٠) سَيَفْنِي حَسْرَةً وَيَبِيدُ مَهْمَا

تَخَطَّطَهُ الْقَنَاقَةُ أَوْ الْحُسَامُ

التخريج :

الأبيات : ٨-٩-١٠-١١-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-٢٥-٢٦-٢٩-٣٠-٣٣-٣٤-

٣٥-٣٦-٣٧-٣٨-٣٩ في الذخيرة ق ٢ ، م ، ١ ، ص ٢٤٥-٢٤٧ ، والأبيات : ١-

٨-٩-١٠-١١-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-٢٥-٢٦-٢٧-٢٩-٣٠-٣١-٣٢ في القلائد ج ١ ،

(١) في الخريدة : أتيح .

(٢) في إعمال الإعلام : يخفى ، وهو أليق بالسياق .

(٣) في الخريدة والمطرب : (يود لو أنه في الطول عام) .

(٤) في الخريدة : (وليس لو أن الأيم السلاح) .

الأيم : يسكون الياء الحية الذكر ومعروف أن الحية تنسلخ من جلدها كل عام مرة ، فشبه هروب أذفونش بالليل قبل طلوع الشمس بانسلاخ الحية من جلدها وإن لم يكن الوقت وقت الانسلاخ فقد تعجل لما يعتلج في نفسه من الخوف والفرع .

ص ٧٧٢-٧٧٣ ، ط / خريوش ، والأبيات : ٢-٣-٤-٥-٦-٧-١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١
 ٢٢-٢٣-٢٤-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣٦-٣٨-٣٩ في الخريدة ج ٢ ، ص ٩٩-١٠٠ ،
 والأبيات : ٣-٤-٥-٦-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٦-٢٧-٣٠-٣٨ في المطرب ص ١٢٠
 - ١٢١ ، والبيتان : ٢٦-٣٨ في المطرب ص ٢٦ ، والأبيات : ٩-١٠-١١-١٢-١٣-
 ١٤-١٥-١٦- في مخطوطة مسالك الأبصار ج ١١ ، ق ١ ، ورقة رقم ٢٢١ ، والأبيات :
 ٨-١٠-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-٢٥-٢٦-٢٩-٣٠-٣٣-٣٤-٣٥-٣٦-٣٧-٣٨-٤٠
 في إعمال الإعلام ج ٣ ، ص ٢٤٧-٢٤٨ .



﴿٤٨﴾

﴿البسيط﴾

وقال في مخنية :

(١) إِنِّي لِأَسْمَعَ شَدَوًا لَا أَحَقِّقُهُ

وَرَبِّمَا كَذَبْتُ فِي سَمْعِهَا الْأُذُنُ

(٢) مَتَى رَأَى أَحَدٌ قَبْلِي مُطَوَّقَةً

إِذَا تَغَنَّتْ بِلَحْنٍ جَاوَبَ الْفَنَنُ

التخريج :

البيتان في الخريدة ج ٢ ، ص ٩٧ ، والفوات ج ٢ ، ص ٢٥١ .



﴿٤٩﴾

﴿الطويل﴾

وقال :

(١) لَنْ جَادَ شِعْرُ ابْنِ الْحُسَيْنِ فَإِنَّمَا^(١)تُجِيدُ^(٢) الْعَطَايَا وَاللُّهَا^(٣) تَفْتَحُ اللُّهَا^(٤)

(٢) تَنْبَأُ عَجَبًا بِالْقَرِيضِ وَلَوْ دَرَى

بَأَنَّكَ تَرَوِي^(٥) شِعْرَهُ لَتَأَلَّهَا

التخريج :

البيت الثاني في الأفضليات لابن الصيرفي ص ١٤٣ ، والبيتان في الخريدة ج ٢ ، ص ٩٥ ، والبدائع ص ٣٦٨ ، والمطرب ص ١١٨ ، ووفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ١٢٤ ، والبيت الثاني في المرقص والمطرب ص ٨٠ ، والبيتان في الرايات ، ص ١١٠ ، والبيت الثاني في مخطوطة مسالك الأبصار ، ج ١١ ، ق ١ ، ورقة رقم ٢٢٦ ، والبيتان في الفوات ج ٢ ، ص ٢٥٢ ، والنفح ج ٣ ، ص ١٩٤ .

المناسبة :

قال صاحب البدائع ص ٣٦٨ : « وجلس المعتمد يوماً ، فأنشد بعض جلسائه قول أبي الطيب :

إِذَا ظَفَرْتَ مِنْكَ الْعَيُونُ بِنَظَرَةٍ أَثَابَ بِهَا مُعِيَ الْمَطِي وَرَازِمُهُ^(٦)

فاستبدعه المعتمد واستحسنه ، وجعله أبداع ما للمتبي وأحسنه .

فارتجل عبد الجليل بن وهبون المرسى البيتين السالفين .

(١) في البدائع : فَإِنَّهُ .

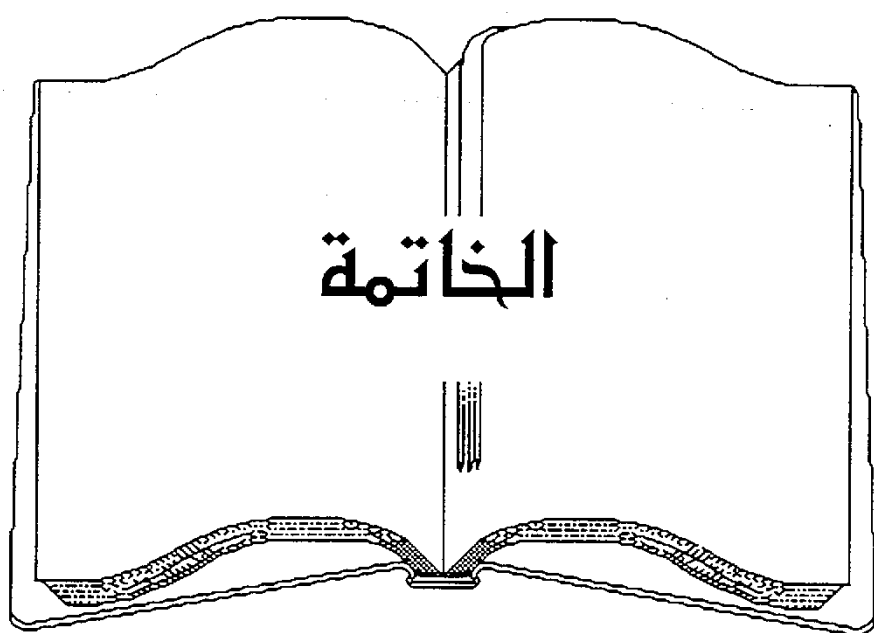
(٢) في البدائع : بجود ، والرايات : تجود .

(٣) اللُّهَا : بالضم العطايا ، وقيل : أفضل العطايا وأجزلها ، واحدها لهوة ولهية .

(٤) اللُّهَا : بالفتح جمع لهاة وهي لحمه حمراء في الحنك معلقة على عكدة اللسان .

(٥) في الأفضليات ، والخريدة ، والمطرب : ترويه إذا .

(٦) انظر شرح ديوان المتبي ، للبرقوقي ، ج ٤ ، ص ٤٩ .



الختامة

أخذت إشبيلية تجتذب الشعراء البارزين من البيئات الثقافية الأخرى بعد أن أصبحت عاصمة الدولة العبادية في القرن الخامس الهجري وفي عهد المعتمد [٤٦١-٤٨٤] أضحت حاضرة للشعر والشعراء ، يتنافس الشعراء في الوصول إليها ليجدوا المجال الرحب الذي يتسع لطموحهم وآمالهم ، وكان ابن وهبون أحد الذين قدّموا إليها بعد أن آنس من شاعريته الاستواء والبراعة .

أما عن دراستي لحياة ابن وهبون فقد اجتهدت في تحديد ملامح شخصيته من خلال شعره ومنه تبدّى لنا شاعراً طموحاً ذا آمال كبيرة لتحقيق المجد والشهرة ، ولكنه لا يظفر من الحياة بشيء فاستحالت به نفسه إلى نزعة من التشاؤم ، واليأس فسيطر عليه القلق ، واستحالت شخصيته إلى شخصية قلقة ممزقة !.

وفي دراستنا لشعره رأينا معظم شعره في المدح ، وكان ينهج في بعض مدائحه نهج أبي الطيب المتنبي وأبي العلاء المعري في بدء قصائده المادحة بالشكوى والتذمر من زمانه، أو الحديث عن طموحه، وهمته العالية، مما أضفى على شعره طابع الحكمة .

وفي دراستنا الفنية لشعره وجدنا أسلوبه يتسم بالقوة والجزالة حيناً، وبالرقة والعذوبة حيناً آخر؛ إضافة إلى سيطرة الأساليب الإنشائية، الطلبية على شعره .

وفي الصورة وجدنا أنها تقوم على التشبيه والاستعارة والكناية وبعض صور البديع، كما وجدناه ينزع إلى تصوير الحياة والأحياء من خلال نظرة فلسفية .

فكانت صورة ناطقة بما ساد في عصره من فقدان لبعض القيم الأخلاقية، وشيوع

الانتهازية ، نظراً لكثرة الحروب والفتن والقلاقل .

وفي بحث الموسيقى وجدناه يترسم خطى أسلافه من الشعراء وما درج عليه الشعر من الجاهلية في بحوره وقوافيه ، وإشاره للبحور الرزينة كثيرة المقاطع مما يدل على طول نفسه وتمكن شاعريته .

ثم كان القسم الثاني : وخصصناه لشعره الذي لم أذخر وسعاً في جمعه من مختلف المصادر والمؤلفات الأندلسية والمشرقية ، ورتبته ترتيباً ألف بائياً.

ويعد : فالحمد لله أولاً وآخراً ، هو مولانا عليه توكلت وإليه أنيب .



فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	* شكر وتقدير
	* المقدمة
١٠١-١	القسم الأول : «الدراسة»
٤٠-٢	الباب الأول : في عصره وحياته :
١٧-٣	* الفصل الأول : في عصره
٤٠-١٨	* الفصل الثاني : في حياته
١٠١-٤١	الباب الثاني : شعر ابن وهب و : موضوعاته وخصائصه الفنية :
٧٥-٤٣	* الفصل الأول : في الموضوعات
١٠١-٧٦	* الفصل الثاني : في الخصائص الفنية
٧٧	أ - الأسلوب :
٨٥	ب - الصورة :
٩٣	ج - الموسيقى :